الوصايا
في التراث العربي والإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: الوصايا
في التراث العربي والإسلامي
تأليف: أد. عبدالباسط خليل محمد الدرويش
أ.د. عادل إسماعيل خليل العبود
الطبعة الأولى: ٢٠٢١
تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين

طباعة. نشر. توزيع
دمشق/ جوال: ٠٠٩٦٣- ٩٤٤٦٢٨٥٧٠
Email: akramaleshi@gmail. com

الوصايا

في التراث العربي والإسلامي

تأليف

أد. عبدالباسط خليل محمد الدرويش أ.د عادل إسماعيل خليل العبود

بسم اللّه الرحمن الرحيم

((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.))

سورة الشورى: آية ١٣.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

الوصية التي نتعرض لها في هذا البحث هي النصيحة والموعظة التي يقدمها كل أب لأبنه من خلال الإشراف على تربيته التربية السليمة على وفق القيم والمثل التي ورثها الآباء من الأجداد وقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم مسؤولية الآباء من ناحية الإشراف على الأولاد وتربيتهم وتأديبهم لذلك قال: (كفى بالمرء إثما أن يضيع ما يقوت)[1] ، فقد جال في خاطرنا أن نؤلف كتابا في الوصايا التي وصى بها الأنبياء والمرسلون والعلماء العاملون ، والأخيار المجتهدون من قديم وحديث ، وجل هذه الوصايا مهمة جدا بحيث لو أخذها الإنسان لجلبت له السعادة في الدنيا والأخرة ، وهي عبرة لمن اعتبر ، وثقافة للنفس لمن علم ، وطريق موصل إلى حياة سعيدة يسعد بها الجيل الحالي والمستقبلي ، وبعد اطلاعنا على من سبقنا في التأليف غير الوصايا ، فقد سبقنا في تأليف الوصايا بعض المؤلفين منهم:

١-من وصايا القران الكريم/أ.د.المرحوم/ محمد محمد سالم محيسن.

٢- من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء/عبد الحميد كشك.

٣- من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم حمزة محمد عجاج.

٤- من وصايا الرسول-صلى الله عليه وسلم-: طه عبد الله العفيفي/دار النشر:

---

(١) أحمد بن حنبل: المسند ٢/١٦٠ رقم الحديث ٦٤،والطيالسي في المسند ٤/ ٣٨ رقم الحديث ٢٣٩٥.

دار التراث العربي مدينة النشر: القاهرة سنة النشر: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م/ الطبعة الأولى. وط٢ القاهرة: دار الاعتصام ، د.ت.

٥- وصايا الآباء للأبناء/د. محمود شاكر سعيد.

٦- كتاب وصايا: مؤلفه الكاتب الأديب السعودي محمد الرطيان ، الطبعة الأولى: مارس(آذار)٢٠١٢ ، الناشر: دار مدارك للنشر ، التصنيف: إرشاد اجتماعي ، عدد الصفحات١٢٦ صفحة ، في(وصايا) يذكر الكاتب٢٧٣ وصية يتخللها تعريفات مختصرة لثلاثة آباء يشعر الكاتب -محمد الرطيان- بالامتنان ، فهم كانوا المحرض الأول لكتابته هذه الوصايا وإصداره هذا الكتاب ، هم: الحكيم(لقمان) وهو عبدٌ حكيم ، ذُكر في القرآن واطلق اسمه على سورة لقمان ، والكاتب الأمريكي(جاكسون براون) صاحب إرشادات الحياة ، والشيخ الشاعر(بركات الشريف) صاحب القصيدة الكافية الشهيرة التي احتوت على الكثير من الوصايا لابنه مالك ، تحتوي على بعض من وصاياهم لأبنائهم. أحتل الكتاب مرتبة الصدارة كأكثر الكتب مبيعًا عام٢٠١٢ ، حيث تم طباعة الطبعة السابعة منه خلال شهر واحد.

٧- وصايا الرسول والخلفاء الراشدين: عبد الحميد شاكر ، جرّوس برس ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤م.

٨- فن الوصايا: حسين علي الهنداوي ، د.م ، د. ت.

٩-جمهرة وصايا العرب: محمد نايف الدليمي ، دارالنضال للطباعة ، بيروت ، ١٩٩١.

وقد انتظم الكتاب في خمسة فصول جاء الفصل الأول في معنى الوصية ومدلولها اللغوي والشرعي في مبحثين: كان المبحث الأول –الوصية لغة واصطلاحاً ، والمبحث الثاني - في- مشروعية الوصية في:

أولاً- الوصية في القرآن الكريم.

ثانياً- الوصية في الحديث النبوي الشريف.

ثالثاً- وصايا الأنبياء والحكماء لأبنائهم في التاريخ القديم.

وجاء الفصل الثاني في الوصية عند العرب قبل الإسلام في مبحثين وهما:

المبحث الأول: ملازمة الوصية لجانب الخوف والحذر على الأبناء من المستقبل المجهول ، والمبحث الثاني: ملازمة الوصية للجوانب المشرقة والنافعة في حياة الأبناء في:

أولاً- الوصايا الخاصة بصيانة العز والشرف.

ثانياً- الوصايا الخاصة بالقيم الأخلاقية الكريمة.

ثالثاً- الوصايا الخاصة بالزعامة والرياسة.

رابعاً- الوصايا الخاصة بالزواج.

وكان الفصل الثالث في: الوصايا عند المسلمين ، في مبحثين ، اوردنا في

المبحث الأول: الوصايا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في نقاط عدة منها:

أولاً- الوصايا في الجانب العقدي والعبادي.

ثانياً- الوصية في الجانب الاجتماعي.

ثالثاً- البر بالوالدين.

رابعاً- العدل بين الأبناء.

خامساً- الوصية في حفظ الصحة وتربية البدن.

سادساً- الوصايا التي تحث على ترك الخصال السيئة ،

وجاء المبحث الثاني في: الوصية في العصر الراشدي في نقاط عهدة منها:

أولاً- الوصايا التي تحث على التقوى وأركان الإسلام.

ثانياً- الوصايا التي تخص الجوانب الإدارية والاهتمام بالرعية

ثالثاً- الوصايا التي تحث على الجانب الخلقي

رابعاً- الوصايا التي تحث الأبناء على الرياضة والحركة والثقافة

خامساً- الوصايا التي تخص آداب المائدة

ثم جاء الفصل الرابع في: الوصايا في العصر الأموي في نقاط عدة منها:

أولاً- الوصايا التي تحذر الأبناء من الشبع والبطنة.

ثانيا- الوصايا في الحياء.

ثالثا: الوصايا عند الموت.

رابعا: وصايا النساء.

خامسا: وصايا الدعاء والأذكار.

وجاء الفصل الخامس الوصايا في العصر العباسي في نقاط منها:

أولا: الوصايا التي تركز على الأخلاق الحميدة

ثانيا: الوصايا في الجانب العلمي والفكري

ثالثاً- الوصية في الجانب العسكري

رابعا: الوصايا بالامتناع عن البدع وأهلها.

وقد اعتمدنا مصادر متنوعة ، وختمنا الكتاب بخاتمة بينا فيها النتائج والتوصيات وفي الختام نسال الله تعالى ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يعذرنا من وجد في الكتاب هفوة فعليه تصحيحها مشكورا والحمد لله رب العالمين.

في ٢٠٢١/٦/١٦م

٧ ذي القعدة ١٤٤٢هـ

المؤلفان

الفصل الأول

معنى الوصية ومدلولها اللغوي والشرعي

المبحث الأول–الوصية لغة واصطلاحاً:

المبحث الثاني –مشروعية الوصية

أولاً –الوصية في القرآن الكريم:

ثانياً –الوصية في الحديث النبوي الشريف:

ثالثاً –وصايا الأنبياء والحكماء لأبنائهم في التاريخ القديم

توطئة

تعد الوصايا من أهم ما ينحل بها الآباء أبناءهم سواء في حياتهم أو بعد مماتهم ، وهي من أثمن الهدايا وأغلى العطايا ، التي يتحف الوالد بها أولاده ، فهي الذخيرة الحية والبضاعة النفيسة التي يلزم الآباء على الأبناء تعلمها وحفظها ، والسير عليها وتطبيقها في حياتهم الأسرية والاجتماعية والمهنية ، فهي تمثل منهج تربوي وتوعوي متكامل فبوساطتها ، تستقيم حياتهم ، وتكلل بالنجاح علاقاتهم ، وتقوى بالآخرين ارتباطاتهم ، وتتواءم بالألفة قلوبهم ، وتسكن بالطمأنينة أنفسهم ، وفيها حفظ كرامتهم وسموهم ومجدهم ، لأنها تعبر عن مرحلة من مراحل التنشئة التي تقوم بها الأسرة ، من واقع مسؤوليتها الدينية والأخلاقية ، ومن دافع رعايتها الأبوية والتربوية. وتكمن أهمية الوصايا لأنها تنبع من رحم الأسرة وما تملكه من شعور نبيل متمثل بالرحمة والعطف والشفقة تجاه فلذات أكبادهم من جانب. وهي من صميم واجباتها التعليمية في ملازمة الأبناء وهم صغار بتلك الوصايا وحرصهم على تعلمها حتى يكبروا ويعتمدوا على أنفسهم فتصبح لهم سنداً وذخراً وعوناً في حياتهم حتى يكبروا وفي مستقبلهم حتى يشيخوا من جانب آخر.

والوصية التي نتعرض لها في هذا البحث هي النصيحة والموعظة التي يقدمها كل أب لأبنه من خلال الإشراف على تربيته التربية السليمة على وفق القيم والمثل التي ورثها الآباء من الأجداد ، والأخلاق الإسلامية التي تربى عليها المسلمون على وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فضلاً عن ما تعلموه وورثوه من معطيات ثقافية وفكرية من جيل الى جيل. وللتوقف على أهمية الوصية في تراثنا

الإسلامي لا سيما ونحن اليوم نعيش في زمن العولمة والتقدم التقني والتكنولوجي إذ أصبح العالَم كأنه قرية صغيرة من خلال انتشار الكومبيوتر ووسائل الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ، فضلاً عن وسائل الترفيه واللهو المتنوعة ، كما أن انشغال أكثر الآباء في دوامة الحياة من أجل تأمين لقمة العيش للأسرة ، مما أبعدهم عن مسؤوليتهم وواجباتهم تجاه أبناءهم وأسرهم ، ونأت بهم عن دورهم في مراقبة الأبناء وملاحظة تصرفاتهم ومتابعة سلوكياتهم ، لا سيما وأنهم أخذوا يتأثرون بالثقافات الغربية والعادات الأجنبية البعيدة عن أخلاقنا والغريبة عن مجتمعاتنا ، في أسلوب حياتهم ومظاهر لباسهم وطريقة جلوسهم وتناول طعامهم ووطبيعة علاقاتهم الى غير ذلك مما أدى بهم ذلك الحال الى الابتعاد عن شرعنا الحنيف والجهل في أمور العقيدة والدين فضلاً عن التحلل النفسي والأخلاقي ، فانحدرت بهم تلك السلوكيات نحو الهلاك والضياع والدمار.

والحقيقة إن وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة من صحافة وتلفاز وإذاعة باتت صامتة قد أغمضت أبصارها وصمّت آذانها وأحجمت لسانها عن شأن الوصية ، وأضعفت من دورها في الأسرة والمجتمع ، واليوم نرى القليل من الآباء يلجأ الى الوصية وإذا وصّى فوصيته خجولة وتفتقر الى الحكمة والموعظة فضلاً عن ذلك فلا يوصي إلا بشيء يخص الدنيا ومتاعها. أما الآخرة فلا نجد الكثير من الآباء يهتمون بهذا الجانب وقد عاب الله عز وجل على أولئك الأشخاص فقال تعالى: (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنا فِي الدُّنْيا وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ)[1].

بيد أن وصايا الآباء للأبناء تشكل عبادة أمر الله تعالى بها ضمن جماعة المؤمنين ، فإذا أمرنا الله عز وجل بايصاء الآخرين فالأحرى أن أقربهم حقاً علينا وأولاهم في ذلك الحق والوصية هم أبنائنا وفلذات أكبادنا قال تعالى: (وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[2].

---

(١) سورة البقرة، ٢٠٠.

(٢) سورة العصر،١ -٣.

بـلا شـك إن الوصـية في الـدين والتناصـح بـين النـاس أصـبحت عبـادة مهجـورة وغدت سنة مدثورة في كثير من البيوت ومنسية عند كثير من الأسر ، فأثر الوصية عظيم وجليل في حفظ الأبناء من الفساد والضياع.

وعلى المجمل تلعب الوصايا دورها الكبير في رفد الأبناء بالعبر والنصائح والمواعظ التي يحتاجونها في دينهم ودنياهم ونمط معيشتهم ، ويكون أثرها واضحاً وجلياً في بناء شخصيتهم ورسم علاقاتهم إذ تتوقف عليها في نجاحهم أو فشلهم ، كما تساهم الوصايا في زيادة الوعي عند الشباب في التعامل مع الأحداث بالاستبصار ومن ثم الوصول الى التمكين والاقتدار ، وتعمل الوصايا على إيقاظ الضمير في تقويم تلك السلوكيات الخاطئة ، وتعديل تلك الانحرافات السائدة ، وهي كالمرآة تعكس الصورة المشوهة فتصحح تلك المسارات وترتب ما فيها من الاعوجاج ، حتى يكون الأبناء عناصر فاعلين وأفراداً صالحين ونافعين في المستقبل ، فيعتمد عليهم ويعتد بهم في تشييد حضارة عريقة تعتز بها الأمة الإسلامية فتقودها الى الخير والصلاح وتنقلها الى التقدم والازدهار والفلاح ، وتعبر بهم الى شاطئ الأمان والسلام. ولتسليط الضوء على قيمة الوصية في حياة الأبناء وأثرها في نشأتهم ومستقبلهم نوضحها فيما يأتي:

المبحث الأول

الوصية لغة واصطلاحاً:

الوصية لغة – الوصيةُ هي مصدر الفعل يوصي وصيةً ووصايةً ، والوصية مأخوذة من وصيت الشيء أوصيه إذا وصلته ، وسميت الوصية وصية لأن الميت لما أوصى بها وصل ما كان فيه من أمر حياته بما بعده من أمر مماته ، يقال: وصّى وأوصى بمعنى واحد قال ذو الرمة:[1]

نصي الليل بالأيام حتى صَلاتنا مقاسمةً يشتقُ أنصافها السفرُ

وأوصّى إلى فلان أو به أي عهد إليه وفوّض إليه أمره[2].

وَتوَاصى الْقَوْم إذا تواصلوا. وكل شَيْء تواصل فقد توَاصى[3].

وقَال اللّيث: الوَصاةُ كالوصيّة ؛ وأنشد:[4]

أَلاَ مَن مُبْلِغ عني يَزيداً وَصاةً مِن أَخي ثِقَةٍ وَدُودِ

الوصية اصطلاحاً:

هو كل ما يقدمه الآباء لأبنائهم من النصائح والمواعظ والتوجيهات والإرشادات ، للاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في الحياة ، فضلاً عن ما ورثوه من أخلاق وعادات وقيم وفضائل لينهلوا منها ويتحلوا بها ، ليتعايشوا بين الناس وينتفعوا بأثرها في حاضرهم ومستقبلهم ، ويتجنبوا من خلالها الرذائل والمساوئ ، ويبتعدوا عن الأخطاء والزلات لصيانتهم والحفاظ عليهم من الضياع والدمار أو الانتقاص والانتقاد من قبل الآخرين ، ليكونوا أفراداً صالحين لمجتمعهم ومفخرة لأمتهم.

---

(١) الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ص١٨١.

(٢) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١١/ ٧٥.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة، ١/ ٢٤١.

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، ١٨٧/١٢ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ٣٠٩/٤٠.

المبحث الثاني

مشروعية الوصية

أولاً -الوصية في القرآن الكريم:

جاءت لفظة الوصية في القرآن الكريم بمعنى النصيحة والموعظة وحملت عدة أهداف وتضمنت عدة جوانب وعالجت عدة قضايا من خلال سرد الآيات الكريمة التي خاطبت الأبناء لفهم غايات الوصية والتمسك بمحتواها والسير على خطاها فمنها على سبيل المثال ماركز على مؤسسة الأسرة التي هي الهرم الرئيسي لقيام المجتمعات ولا سيما برسم طبيعة العلاقة بين الوالدين والأبناء اللذان يبذلان عصارة قلبيهما وجل وقتهما للإشراف على تربية الولد والسهر على راحته والقيام برعايته وكلاء ته ، ولعل بر الوالدين والإحسان إليهما والعطف عليهما ومراعاة حقوقهما هو من أبرز الوصايا والنصائح التي ركز الشارع عز وجل للحفاظ عليها وألزم الولد بالإتيان به على أحسن وجه وأكمل صورة حتى جعله من العبادات التي توجب الحساب والعقاب. قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[1].

إذ جعل الوصية في الوالدين عبادة والإحسان إليهما طاعة ومصاحبتهما بالمعروف قربة للخالق عز وجل ، وهي حكماً موجباً وقضاءً مبرماً وأمراً مطاعاً على الأبناء وهي من علامات الإيمان وحسن الاعتقاد حيث قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ

---

(١) سورة الأحقاف، ١٥.

وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً)[1].

وجاءت الوصية لتحقيق هدف التوحيد لله والربوبية الحقّة بعيداً عن الشرك والضلال ، وهي وديعة استودعها الله تعالى عند أنبيائه ورسله وهي إنقاذهم من براثن الشرك الى رحاب التوحيد ، لذلك كانت أعظم وصية يوصي بها الأب أبنائه هو تحقيق التوحيد والعبودية لله الواحد الأحد ، وهذا ما وصى به أبو الأنبياء يعقوب عليه السلام لأبنائه قبل موته إذ قال تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[2].

وكانت تلك الوصية من الهدي الصالح الذي خلفه الأب لأبنائه لينفعهم في حياتهم الدنيوية وينقذهم مما قد يلحق به من الشقاء والعذاب في الحياة الأخروية. وهكذا كان ديدن الأنبياء وهم جاءوا مصلحون ودعاة هادون فكانت مبادئ العقيدة السليمة هي العهد الذي تركوه عند أبنائهم ومن اتبعهم من المؤمنين قال تعالى:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)[3].

لا شك إن نوحاً وإبراهيم عليهما السلام وصى كلاهما أبناءه بملته ودينه ، واتبعه من بعدهم موسى وعيسى والنبيون الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ، فهم جميعا على ملة واحدة جامعة ، وهي ملة إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن التي هي التوحيد والتنزيه ، والاستقرار على الحق ، والحنيفية السمحة. وقد أكد

---

(١) سورة الإسراء، ٢٣ -٢٤.

(٢) سورة البقرة، ١٣٣.

(٣) سورة الشورى، ١٣.

النبيﷺ لما سئل عن ذلك ، أي الأديان أحب الى الله؟ قال: الحنيفية السمحة[1].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين ، ولم يكن أمره إلى النبيﷺ وحده ، بل كان أمره له ولمن اتبعه ، وفيه بيان أن إيمانهم هو إيمان إبراهيم ، وبنيه ، ويعقوب وبنيه ، والنبيين عليهم السلام أجمعين ، فهو إيمان عام بالرسالة الإلهية لا فرق بين رسول ورسول ، ونبي لأنهم جميعاً كانوا يدعون الى ناموس واحد.

وجاءت الوصية لتحافظ على كيان الأسرة من التصدع والانهيار ببيان ما للزوجة من حقوق وما عليها من واجبات ، سواء في حياة زوجها أو بعد مماته ، لتحقق التوازن الاجتماعي بعيداً عن الظلم والبغي فقد قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[2].

من الجدير بالذكر أن التهذيب النفسي في رعاية الزوجة وحسن معاشرتها يستبين للمؤمن أن التقوى أساس الصلات التي تربط وشائج الأسرة ، مع بعضها ، وأن التقوى لازمة لتكون أسس الرحمة والعطف عند قيام الحياة الزوجية ، وتظل ثابتة لا تتبدل ما دامت في رحابة الإسلام بخلاف الديانات الأخرى إذ أثبت الشارع ما للزوجة من حقوق بعد وفاة زوجها في السكن والنفقة مدة أربعة أشهر وعشرة ، وتستمر الى الحول ما لم تتزوج[3].

ووردت الوصية في القرآن في حفظ المال للإنسان في حياته وبعد مماته كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا

---

(١) ابن حنبل، المسند، ١٧/٤ ؛ البخاري، الصحيح، ١٦/١ ؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٢٢٩/٧.

(٢) سورة البقرة، ٢٤٠ -٢٤٢.

(٣) السيد سابق، فقه السنة، ٨٠/٣.

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ)[1].

بلا شك إن موضوع هذه الآية أدق الموضوعات في باب الإثبات ، إنه سبحانه وتعالى لما أمر بحفظ النفس في قوله تعالى:(عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) وأمر بحفظ المال أيضاً لأنهما أعز ما يملك الإنسان في الحياة وأكثر ما يفني من عمره في الحفاظ عليهما. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن تميماً الداري وأخاه عدياً- وكانا نصرانيين- خرجا إلى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص- وكان مسلماً مهاجراً- خرجوا للتجارة. فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه وأخفاه بين الأقمشة ولم يخبر صاحبيه بذلك ، ثم أوصى إليهما وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات. ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشاً بالذهب ودفعا باقي المتاع إلى أهله لما قدما ، فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما إلى النبيﷺ فنزلت تلك الآية[2].

وقد قرر علماء القانون الوضعي دقة الإثبات في موضوعها ، وهو الوصية التي تكون في سفر ، ويموت صاحبها في هذا السفر ، وإنهم قد تساهلوا في طرق الإثبات فيها تحققا من صحة الوصية والأموال ومآلها ، حتى لقد قال بعض القانونيين: إنه تثبت الوصية بالكتابة على الرمل لمن حضرته الوفاة ، وهو نائم على ذلك الرمل ؛ وذلك لأن الإثبات في هذه الحال التي مات فيها صاحب الوصية من غير أن يتمكن من أن يكتب وصيته صعب[3].

وتجلت الوصية في عدم الجور والإثم في تقسيم التركة بين مستحقيها والتي فرض الشارع على الأب في ميراثه. قال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ. فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً

---

(١) سورة المائدة، ١٠٦.

(٢) الرازي، مفاتح الغيب، ١٢/ ٤٥٠ ؛ النيسابوري، غرائب القرآن، ٣/ ٣١.

(٣) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ٥/ ٢٣٨١.

أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[1].

عن ابن جريج قال: "قلت لعطاء قوله تعالى: فمن خاف من موص جَنفاً أو إثماً ، قال: الرجل يحيف أو يأثم عند موته ، فيعطي ورثته بعضَهم دون بعض ، يقول الله: فلا إثم على المصلح بينهم. فقلت لعطاء: أله أن يُعطي وارثه عند الموت؟ قال: إنما هي وصية ، ولا وصية لوارث؟ ذلك فيما يَقسم بينهم"[2].

وهذه الآيات تكشف عن هوى النفس وجحودها تجاه من هم أحق بالوصية وفيها ظلم وجور وميلاً عن الحق بألا يوصي لوالديه ؛ بغضاً لهما ، أو لا يوصي للأقربين ؛ مع فقرهم وحاجتهم ، أو يوصي بأكثر مما أجازه الله تعالى في الوصية ؛ متعمداً لحوق الضرر بالورثة فإذا أصلح بين الموصي وورثته ، أو بينه وبين من تجب عليه الوصية لهم كان ذلك ثوابه عند الله عظيم[3].

من نافلة القول إن الوصية في تقسيم الإرث يكون بنسبة متوازنة بين الذكور والإناث والتي حددها الشارع لمصلحة ومنفعة للطرفين ، ثم تتدرج بين الورثة من عصبته كل حسب ما له من حق قد حددته الشريعة بالعدل والإحسان إذ قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ وَإِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً. وَلَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِها أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ

---

(١) سورة البقرة، ١٨٠ -١٨٢.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٤٠٢/٣.

(٣) ابن الخطيب، أوضح التفاسير، ١/ ٣٢.

أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ واحدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذلكَ فَهُمْ شُرَكاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِها أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)[1].

وجاءت الوصية صراحة بمعنى النصيحة والموعظة كما في سورة لقمان إذ حملت الكثير من الأمور وأوضحت العديد من القضايا التي استوجب على الأب تعليمها للولد وهو صغير، وتشكل هذه الوصايا الأسس السليمة في التنشئة الاجتماعية والأسرية كما في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)[2].

فقد ركزت تلك الآيات على مجموعة من الوصايا أهمها تحقيق سلامة الجانب العقائدي في نفس الولد لتوحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به، كما ركزت على ضرورة مصاحبة الوالدين بالإحسان والعطف والرحمة، ثم بينت أن فضل الأم عظيم وأن حقها كبير، وهي أحق بالصحبة من الأب، بسبب ما عاينته من آلام الحمل والطلق والولادة، والسهر على راحة الولد من خلال رضاعه وحضانته ورعايته. ثم أوضحت السورة أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو يجازي العبد على صنيعه وشكره. ثم تعدت الآيات الى التركيز على الجانب الأخلاقي والتربوي لكي يحيا الإنسان في مجتمعه بسلام وهو محبوب وممدوح من بين الناس.

---

(١) سورة النساء، ١١ -١٢.

(٢) سورة لقمان، ١٣ -١٩.

ثانياً - الوصية في الحديث النبوي الشريف:

شكلت الأحاديث النبوية الشريفة رافداً كبيراً للوصية فجاءت عبارة عن نصائح وتوجيهات للمسلمين ، وعبر ومواعظ للمتقين ، للتمسك بها والعمل بموجبها لأنها تعبر عن صدق الإيمان وحسن الإتباع للرسول الكريم محمدﷺ ، فهو المعلم والمربي والقدوة الحسنة ، وهذه من أبرز وأجل ما في المنهج النبوي من تعاليم ومراسيم التي على الأبناء التمسك بها ، والسير عليها ولعل ما أشار فيه الرسولﷺ على المسلمين من أمور اقتضت تعليمها لأبنائهم وفلذات أكبادهم هو غرس كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" في نفوسهم علماً وعملاً إيماناً واعتقاداً ، فهي المفتاح للدعوة وهي المنهج التربوي في الأسرة ، وهي الأساس في البناء والتقدم للمجتمع وللبشرية جمعاء ، الذي يدعو الى التوحيد ونفي الشرك جملة وتفصيلاً وهذه الكلمة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء فقالﷺ وهو يوصل رسالة للآباء: "إن نبيَّ الله نوحاًعليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصيةَ: آمرك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين ، آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبع ، والأرضين السبع ، لو وضعت في كفَّة ووضعت لا إله إلا الله في كفَّة ، رجحت بهنَّ لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع ، والأرضين السبع ، كن حلقَة مبهمة ، فصَمتهنّ لا إله إلا اللهَ ، و سبحان الله ، وبحمده ، فإنها صلاةُ كل شيءٍ ، وبها يُرزق الخلقُ ، وأنهاكَ عن الشِّرك والكبر ، قال: قلت ، أو قيل: يا رسول الله ، هذا الشِّرك قد عرفناه ، فما الكبر؟ ، قَال: أن يكون لأحدنا نعلان حَسنتان لهما شراكان حَسنان؟ ، قال: لا ، قال: هو أن يكون لأحدنا حُلّة يلبسها؟ ، قال: لا ، قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ ، قال: لا ، قال: أفهو أن يكونَ لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ ، قال: لا ، قيل: يا رسول الله ، فما الكبر؟ ، قال: سفه الحق ، وقمط الناس"[1].

من نافلة القول لقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة موجهة الى مؤسسة الأسرة لأنها الدعامة التي يقوم عليها المجتمع ، وهي تمثل منهج تربوي متكامل وشامل لكل جوانب الحياة ، وكان فيها من الإشارات الدقيقة والأفكار العميقة ما هو أشبه بروضة

---

(١) ابن حنبل: المسند، ١٥٧/٦ ؛ البخاري: الأدب المفرد، ٢٨٢/١.

غناء تناثرت فيها أفانين الشجر وألوان الثمر ، وانتشرت منها رائحة الورود والياسمين من كل نوع وصنف وجنس ، ويتجلى لنا ذلك في الوصية التي على الوالدين تحملها والقيام بحقها في تنشئة الأبناء التنشئة السليمة ورعايتهم الرعاية الصحيحة ، فقالﷺ: "كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها ، والعبد راعٍ على مال سيده ، وهو مسؤول عن رعيته ، ألا فكلّكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته"[1].

ثم مال النبي ﷺ بوصاياه نحو المرأة التي كان المجتمع الجاهلي ينظر إليها نظرة فيها شيء من العار والازدراء ، وهي مجرد وعاء للشهوة والولد ، وقد سلبها حقوقها وجعلها مجرد أمة وخادمة لتلبية حاجيات زوجها وأبنائها ، فجاءت الوصية لتوضح للعاقل ، وتُعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ، وترفع الحيف عن النساء عموماً ، والزوجة بشكل خاص من ناحية الترفق معها في القول والفعل ومصاحبتها بالمعروف ومعاملتها بالحسنى ، ومراعاة شعورها ، ومداراة كيانها ، فهي النصف الآخر للمجتمع ، فقد قال النبيﷺ: "استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته تركته وهو أعوج ؛ فاستوصوا بالنساء خيراً"[2]. والعوج هنا هو النقص في الدين والعقل ، فتحتاج المرأة من المربي والمسؤول عنها التعامل معها بالحكمة والسياسة وتعليمها الحلال والحرام والعفة والحياء عن طريق النصيحة والموعظة الحسنة.

ثم أكد على حقوق الزوجة على زوجها في الشريعة الإسلامية أن يعاشرها بالمعروف ولا يقصر في واجباته الزوجية تجاهها من إطعام وكسوة ورعاية وحماية إذ قال النبي: "ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هنّ عوانٌ عندكم-أي مثل الأسيرات عندكم-.. ألا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً ، فأما حقكم على

---

(١) ابن حنبل، المسند، ٢٨٣/٤ ؛ البخاري، الصحيح، ١٢٠/٣ ؛ مسلم، الصحيح، ١٤٥٩/٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، ١٩٧/٤ ؛ البخاري، الصحيح، ١٣٣/٤ ؛ مسلم، الصحيح، ١٠٩١/٢.

نسائكم فلا يوطئن فرشَكُم من تكرهون ، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهنَّ عليكم أن تحسنوا إليهن في كِسوتهنّ وطعامهنّ"[1].

ثم اتجه النبيﷺ بالوصية الى المجتمع ومكوناته وابتدأ بالجيران وحقوقهم وذلك للحفاظ على الألفة والترابط الاجتماعي من خلال نشر تعاليم المحبة والتعاون والاهتمام في تفقد أحوالهم ورعاية شؤونهم.

وبلا شك تجلت الوصية برعاية الجار واحترامه لأن الجار في الشريعة الإسلامية له ثلاثة حقوق حق الإسلام وحق القرابة وحق الجوار ، والإحسان إليه من علامات الإيمان ، وتتسم في إبداء الترحيب به ، والسؤال عن صحته ، وتفقد أحواله ، وتقديم المساعدة له ، الى غير ذلك لأن الحفاظ على الجوار من أسس الترابط الاجتماعي التي تساعد في زيادة عوامل تماسكه بإشاعة خُلق المحبة والإيثار والشعور الإنساني حيث قال النبيﷺ: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[2].

وأكد النبيﷺ على حق صحابته على المسلمين لأنهم أول من آمن برسالة الإسلام وتحمل أعباء هذا الدين ، وقدموا الغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة الحق ، وعُذبوا وفتنوا ولم يخل ذلك فيهم قيد أنملة ، وهاجروا في سبيل الله تاركين أرضهم وأهاليهم وأموالهم ومصالحهم ، فمن باب الوفاء لهم الترضية عليهم وذكرهم بالخير ، ثم من يأتي بعدهم من التابعين لأنهم حملوا علم الصحابة وبلغوه وبذلوا من أجل نشره المهج والأرواح ، ثم أكد على عدم مفارقة الجماعة فقال: "استوصوا بأصحابي خيراً ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب ، حتى إن الرجل ليبتديء بالشهادة قبل أن يسألها. فمن أراد منكم بحبحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، لا يخلونّ أحدكم بامرأة ، فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرَّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن"[3].

---

(١) ابن ماجة، السنن، ٥٧/٣ ؛ الترمذي، السنن، ٤٥٩/٣ ؛ النسائي، السنن الكبرى، ٢٦٤/٨.

(٢) البخاري، الصحيح، ١٠/٨ ؛ أبو داود، السنن، ٤٦٢/٧ ؛ ابن ماجة، السنن، ٦٣٧/٤.

(٣) ابن حنبل، المسند، ٢٦٨/١ ؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٢٠٦/٦ ؛ البيهقي، السنن الكبرى، ١٤٦/٧.

ويبدو أن النبيﷺ يعلم أن الأمة في آخر الزمان ستختلف في أصحابه فمنهم من يحب ويوالي ومنهم من يبغض ويعادي ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ضعف الإيمان وقلة الوعي وعدم التمسك والالتزام بمنهج النبيﷺ والتأسي به ، والابتعاد عن القيم والتعاليم الروحية التي غرسها الإسلام في النفوس ، الذي كرّم الصحابة وشهد بفضلهم لبذلهم وعطائهم وتضحياتهم ومواقفهم من أجل نصرة هذا الدين وتبليغه الناس كافة. لذلك أوصى النبيﷺ المسلمين بحفظ مكانتهم وذكر مآثرهم والاعتزاز بمناقبهم فقال: "لا تسُبوا أصحابي ؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ، ولا نصيفه".[1]

وتتجلى لنا الوصية كما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قصة حديث تأمير النبيﷺ أسامة بن زيدﷺ ، على الجيش الذي بعثه الى الروم ، وطعن الناس في إمارته. وفيها قال النبيﷺ: وإن هذا ـ يعنى أسامة ـ لمن أحب الناس إليَّ[2].

وفى رواية لمسلم: وأوصيكم به ، فإنه من صالحيكم[3].

ومنه: وَقَولـه صلى الله عليه وآله وسلم لِلْعَبَّاس حَيْثُ وصّى بالأنصار فِي الْخطْبَة الْمَشْهُورَة وَكَانَت آخر خطْبَة خطبهَا لما قَالَ للرسول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (توصي لقريش) فَقَالَ لَهُ (إِنَّمَا أوصى قُرَيْشًا بِالنَّاسِ وَبِهَذَا الْأَمر وَإِنَّمَا النَّاس تبع لقريش فبر النَّاس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم[4].

وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: (أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن:

---

(١) البخاري، الصحيح، ٨/٥؛ مسلم، الصحيح، ١٩٦٧/٤؛ أبو داود، السنن، ٥٣/٧؛ ابن ماجة، السنن، ١١١/١.

(٢) الفاسي، العقد الثمين، ٣/ ١٨٠.

(٣) ينظر الصحيح، ١٨٨٤/٤.

(٤) ينظر القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، (المتوفى: ٤٠٣هـ) في تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٤٧٢/١.

لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر). [1].

وعلى المجمل إن طبيعة الأحاديث النبوية التي اشتملت على الوصايا كانت بصيغة الأمر والطلب والتوجيه والإرشاد ، ولا نريد هنا أن نسهب في هذا الموضوع بقدر ما أن نوضح صيغة الوصية وأغراضها في الحديث النبوي حيث أننا سوف نتكلم عنها في فصل مستقل بذاته.

ثالثاً - وصايا الأنبياء والحكماء لأبنائهم في التاريخ القديم

انبرى الأنبياء والحكماء نحو الوصية للأبناء لما يتمتعون به من البلاغة والبيان ووسائل الإقناع للارتقاء بهم نحو الفضيلة وترك الرذيلة ، وكان الأبناء هم الأرض الخصبة التي حرص الأنبياء والحكماء الى غرس القيم الخلقية في نفوسهم ، لتنبت شجراً طيباً ومثمراً يستظل الناس بظله ويستفيدوا من ثمره وبركته في إصلاح المجتمع وتقويم سلوك أفراده. وبما أن الولد هو صورة لأبيه يسير على نمط حياته ويأخذ عنه ويحاكيه فيما يتربى عليه من القيم والمثل والمبادئ ، وما يتعلمه منه من الدروس والمفاهيم والتعاليم الدينية والتربوية ، ولأن الرسالة الدينية والتربوية تبدأ في التبليغ من الأسرة والأبناء لذلك صارت الوصية عماد الثقافة في نقل الموروث الحضاري والمعرفي الى الشريحة الأكثر استيعاباً وفهما وحفظاً والتي هي بمسؤوليتهم ومعيتهم وكنفهم وهم الأبناء فانطلقوا في تبليغ الوصايا لهم والإكثار منها.

وصيّة يعقوب لأولاده عند الدخول على حاكم مصر في[سورة يوسف(١٢): الآيات٦٧ الى ٦٨]

وَقالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ(٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما كانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ حاجَةً فِي نَفْسِ

(١) أخرجه أبو داود في السنن ١٧٤/٦.

يَعْقُوبَ قَضاها وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(٦٨)

روي أن أولاد يعقوب ، لما ودّعوا أباهم ، قال لهم: «بلّغوا ملك مصر سلامي ، وقولوا: إن أبانا يصلّي عليك ، ويدعو لك ، ويشكر صنيعك معنا». والصلاة معناها هنا الدعاء بالرّفعة والمنزلة العالية وبالمغفرة والفضل الإلهي.

وقال يعقوب لأولاده: يا بنيّ لا تدخلوا مصر من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة لأنهم كانوا أهل جمال وكمال ، لئلا تصيبهم العين ، والعين قد تكون سببا في المهالك.

أخرج الإمام أحمد بسند صحيح: «العين حقّ» أي شيء ذو أثر موجود عند الناس ، والعين لا تضرّ إذا برّك العائن ، فيقول: تبارك الله أحسن الخالقين ، اللهم بارك فيه. وإذا أصاب العائن ولم يبرك ، يؤمر بالاغتسال ، ويجبر على ذلك إن أباه.

وتابع يعقوب وصيته ومفادها: وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ.. الآية ، أي وما أدفع عنكم بوصيتي وتدبيري من قضاء الله شيئا لأنه لا يغني حذر من قدر ، وإن كنا مأمورين باتّخاذ وسائل الحيطة والحذر ، لقوله تعالى: وَخُذُوا حِذْرَكُمْ[النّساء: ٤/ ١٠٢] أخذا بالأسباب العادية الظاهرية ، وليس دفعا للقدر ، وتحدّيا للقضاء.

ويظل إنفاذ الحكم وتدبير الأمر لله وحده ، لذا قرن يعقوب كلامه السابق: بأن الحكم لله وحده ، وعليه وحده توكّلت ، وبه وثقت ، وعليه تعالى فليتوكل المتوكلون ، دون أن يعتمدوا في تحقيق النتائج على أنفسهم وأمثالهم من البشر ذوي الإمكانات المحدودة والقدرات البسيطة أمام قدرة الله الفائقة.

ولما دخل أولاد يعقوب مصر التي كان لها أبواب أربعة ، من حيث أمرهم أبوهم ، من أبواب متفرقة ، ما كان توجيه يعقوب على هذا النحو يفيدهم شيئا قطّ ، إذا أصيبوا بسوء ، ولا يردّ عنهم قدرا لأنه لو قضي أن تصيبهم عين ، لأصابتهم مفترقين أو مجتمعين. وإنما طمع يعقوب أن تصادف وصيته ورجاؤه قدر السلامة ، فوصّى ، وأن يظهر شيئا في نفسه ، وهي شفقته عليهم ، وتلك رغبة أو حاجة ذاتية في نفس يعقوب أراد إظهارها.

ثم أثنى الله عزّ وجلّ على يعقوب بأنه لقّن ما علّمه الله من هذا المعنى ، وهو يعلم بأن الحذر لا يمنع من القدر لتعليم الله إياه بالوحي ، ولكن أكثر الناس وهم المشركون والكفار لا يعلمون ذلك ، أي لا يعلمون مثل ما علم يعقوب عليه السّلام ، ولا يدركون كيف أرشد الله أولياءه إلى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والآخرة ، ومن تلك العلوم: الأخذ بالأسباب الظاهرة ، وتفويض الأمر لله تعالى.

والخلاصة: نحن البشر مأمورون باتخاذ الاحتياطات والأسباب الظاهرية ، ونفوّض الأمر في تحقيق النتائج إلى الله تعالى ، مع ثقتنا التامّة بعدله وفضله ورحمته وإحسانه ، ومع توكلنا عليه سبحانه في إنجاز الأمور وتفويض المشيئة لله تعالى[1].

فهذا لقمان الحكيم لأبنه وهو يوصيه بأن لا تغره الدنيا وزخرفها ، لأنها متاع

زائل: "لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فإنك لم تخلق لها. وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين. ولا بلاءها عقوبةً للعاصين.

يا بني لا تضحك من غير عجب. ولا تمش في غير أربٍ. ولا تسأل عما لا يعنيك. يا بني لا تضع مالك وتصلح مال غيرك. فإن مالك ما قدمت. ومال غيرك ما تركت. يا بني إنه من يرحم يرحم. ومن يصمت يسلم. ومن يقل الخير يغنم. ومن يقل الباطل يأثم. ومن لا يملك لسانه يندم. يا بني زاحم العلماء بركبتيك. وأنصت إليهم بأذنيك. فإن القلب يحيا بنور العلماء. كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء[2].

وكان لقمان الحكيم يهيب بالآباء أن لا يغفلوا طريقة العقاب إذا أساء الولد أو لم يأخذ الوصية بشكل صحيح فقال: "ضرب الوالد الولد كالسماد في الزرع"[3].

من وصايا سليمان بن داود عليه السلام: يا بني إسرائيل لا تدخلوا أجوافكم إلا

---

(١) الوحيلي: التفسير الوسيط٢/١١٢٤.

(٢) شيخو: ١١٢

(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٩٨/٤؛ الآبي، نثر الدر، ١١/٧؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٤١١/١.

طيباً ، ولا تخرجوا من أفواهكم إلا طيباً[1].

من وصايا لقمان الحكيم لابنه :

١. يابني: لتكن ذنوبك بين عينيك وعملك خلف ظهرك.

٢. يا بني: لا يكن الديك أكيس منك ؛ إذا انقضى الليل خفق جناحيه وصرخ إلى الله بالتسبيح.

٣. يا بني: تعلم الخير وعلمه ، وأعلم أن الناس بخير ما بقي الأول يعلم الآخر.

٤. يا بني: لا تعجبن بما تعمل وإن كثر فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟

٥. يا بني: لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بحبها ؛ فإنك لم تخلق لها وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها ؛ لأنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين [2].

ومن وصايا لقمان: يا بني لا تؤخر التوبة ، فإن الموت يأتي بغتة ، فالسعيد من أخذ من نفسه لنفسه ، ومهد لها قبل يوم رمسه[3].

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، قَالَ: "في حِكْمَةِ لُقْمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ الْعِلْمُ حَسَنٌ وَهُوَ مَعَ الْحِلْمِ أَحْسَنُ ، وَالصَّمْتُ حَسَنٌ وَهُوَ مَعَ الْحِكْمَةِ أَحْسَنُ ، يَا بُنَيَّ ، إِنَّ اللِّسَانَ هُوَ نَابُ الْجَسَدِ فَاحْذَرْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ لِسَانِكَ مَا يُهْلِكُ جَسَدَكَ أَوْ يُسْخِطُ عَلَيْكَ رَبَّكَ[4].

وعَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ: "قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: أَيْ بُنَيَّ ، حَلِيمٌ فِي صُورَتِهِ خَيْرٌ مِنْ صُورَةٍ لَا حِلْمَ لَهُ[5].

ومن وصايا لقمان لابنه ما ذُكِرَ عنه أنه قال له:

١ – يا بني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

٢ – يا بني إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الإسلام(يعني السلام) ، ثم اجلس

---

(١) العاملي: الكشكول ٥٦/١.

(2)http://www.alfaseeh.com
(3)http://www.alminbar.net

(٤) ابن أبي الدنيا: الحلم ص:٦٤.

(٥) ابن أبي الدنيا: الحلم ص:٦٤.

في ناحيتهم فلا تنطق ، حتى تراهم قد نطقوا ، فإن أفاضوا في ذكر الله فاجعل سهمك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم[1].

عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ عُبَيْد ، قَالَ: "بَلَغَنَا أَنَّ لُقْمَانَ ، قَالَ لِابْنِهِ: حَلِيمٌ كُلَّمَا لَقِيَكَ قَرَعَكَ بِعَصَاهُ خَيِّرٌ مِنْ سَفِيهٍ كُلَّمَا لَقِيَكَ سَرَّكَ[2].

ومن وصايا لقمان لابنه: يابني! إذا امتلأت المعدة ؛ نامت الفكرة ، وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة. هذا حال الشبع.

وأما حال الإقلال من الطعام والشراب: فالقلب يصفو ، والقريحة تنتقد ، والبصيرة تنفذ ، والشهوة مغلوبة ، والنفس مقهورة على أمرها ، وقد أرشدنا صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والتسليم إلى المقدار المناسب في الطعام ، وهوما يقيم الحياة ، ويحفظ الصحة ، ويمكن الإنسان من القيام بواجبه الشخصي ، والمشترك ، وإن كان لابد مكثرًا منه يجعل ثلثي المعدة للطعام والشراب ، ويترك ثلثها الباقي خاليًا حتى يتمكن من النفس بسهولة ؛ وذلك أن البطن إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز ، فضغطت على الرئتين ، فضاقت مجاري التنفس الذي هو ضروري لإصلاح الدم الفاسد ، وتحويله إلى دم صالح تقوم به حياة الإنسان ، وتحفظ صحته ، ولذلك جاء الترغيب في الصوم ، وأن الله يجزي به بنفسه ؛ لأن أكبر مهذب للإنسان هو الصوم ؛ لتقليل الطعام فيه ، والله أعلم[3].

إنَّ هودا عليه السلام وصى بنيه ووعظهم فقال: "أوصيكم بتقوى الله وطاعته والإقرار بوحدانيته وأحذركم الدنيا فإنّها غرارة خداعة غير باقية عليكم ولا أنتم باقون عليها. فاتقوا الله الذي إليه تحشرون ويقتننكم الشيطان أنه لكم عدو مبين"

ثم أقبل على قومه وعمه عاد يوصيهم بما وصى بنيه ويعظهم بما حكى الله تبارك وتعالى عنه: (وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) إلى

---

(١) ابن كثير: التفسير ٤٤٨/٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) النقلي محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهرى(المتوفى: ١٣٦٧هـ) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية دار ابن كثير دمشق -بيروت ١٥٦/١.

قوله: (ولا تتولوا مجرمين) فكان ردهم: ما حكى الله تعالى عنهم: (يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين. وقالوا من أشد منا قوة) إلى قوله: (ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) فأهلكهم الله بالريح الصرصر كما قال عز وجل(وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) فلما هلك عاد على غير دين هود جزع هود عليهم واكتأب فأنشده ابنه قحطان شعرا يسلى عليه بعض ما كان به من القلق والارتماض والحزن على قومه وبنيه وبني عمه فقال:

إني رأيت أبي هودا يؤرقه	حزن دخيل وبلبال وتسهاد
لا يحزنك إنْ خصة بدهية	عاد بن عوص فعاد بئس ما عادوا
عاد عصوا ربهم واستكبروا وعتوا	عما نهوا لا سادوا ولا قادوا
بعدا لعاد فما أوهى حلومهم	في كل ما ابتدوا وكل ما اعتادوا
قاموا يردون عنهم سفاهتهم	ريحا بها أهلكوا أيان ما بادوا
إلاّ يظنون إنَّ الله غالبهم	وإنَّ كلا لأمر الله منقاد
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني	أسالم لي لقمان وشداد[1]

عن الحسن في وصية لقمان لابنه قال يا بني اذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك وارفع صوتك في الملأ كي لا يعلموا أنك صايم ولا ترائي الناس بصومك وصلاتك فتهدم بنيانك وتغر غيرك فان الذي يعمل لله في السر يجزيه في العلانية ويرفع درجاته في الآخرة والخلود في داره والنظر في وجهه مرافقه انبيائه[2].

---

(١) خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة /نشوان الحميري ص: ١

(٢) اللالكائي /ل هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم /: تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، ٣ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢ هـ ٢/:٤٩٦،

الفصل الثاني

الوصية عند العرب قبل الإسلام

المبحث الأول

ملازمة الوصية لجانب الخوف والحذر على الأبناء من المستقبل المجهول

المبحث الثاني

ملازمة الوصية للجوانب المشرقة والنافعة في حياة الأبناء

أولاً - الوصايا الخاصة بصيانة العز والشرف

ثانياً - الوصايا الخاصة بالقيم الأخلاقية الكريمة

ثالثاً - الوصايا الخاصة بالزعامة والرياسة

رابعاً - الوصايا الخاصة بالزواج

تمهيد

لم تكن للعرب قبل الإسلام – كما نعلم – دولة منظمة ، بل كانت الحياة قبلية النظام ، والتربية فيها فطرية تكتسب فيها العادات والقيم والمهارات عن طريق التقليد والمحاكاة وقيم القبيلة وأخلاقها ؛ فالمثل العليا مأخوذة من مآثر القبيلة وأيامها ورجالها ومعتقداتها وقيمها المتوارثة وحروبها وبطولاتها ، والمهارات لا تتعدى مهارات الحرب وطرق الدفاع والهجوم والصيد وصنع آلات الحرب وركوب الخيل ، وغير ذلك من المهارات المعروفة لديهم.

ومن الأمم حولهم تعلموا بعض العلوم ، وبفطرتهم نبغوا في الشعر والخطابة ، ومن علومهم علم الفلك والطب والأنساب والعيافة والفراسة والزجر وغيرها[1].

أما وسائلهم ففي التقليد للآباء ورجال العشيرة ، ثم المواعظ والإرشادات والحكم من الآباء والأمهات.. وكان الاهتمام بالناحيتين الأدبية والخلقية أكثر عند العرب إلى جانب النواحي الأخرى المتعلقة بالقيم السامية في الحياة كالشجاعة والكرم والشهامة والمروءة الخ.

الجدير بالذكر أن من وسائل العرب قبل الإسلام لنشر قيمهم وثقافتهم وأفكارهم وخواطرهم مجلس القبيلة ، الذي يحضره الشعراء والخطباء والأدباء وأصحاب البيان من ذوي الخبرة والتجارب ، والشهرة الأدبية والنحوية ، كما يتواجد فيه القادة والفرسان والنجباء من رجالات القبيلة من جانب ، فضلاً عن ذلك المؤتمرات الموسمية في أسواقهم المعروفة ، كسوق عكاظ وذي المجاز ؛ حيث كانت تلك المجالس والأسواق الأدبية مدارس لتبادل الأفكار والآراء والأشعار ، وتبادل الخبرات في عالم الثقافة والتجارة والحرب ونشر المثل والقيم الأخلاقية ، فأكثروا فيها من الوصايا

---

(١) محجوب، التربية في عصور ما قبل الإسلام وبعده ص ١١٠.

والمواعظ ليتعلم ويستفيد الأبناء من تجارب الآباء والأجداد وأهل الحل والعقد من جانب آخر.

وتعد الوصايا في الأدب الجاهلي من المآثر التي تستحق الفخر ، فهي من التقاليد والأعراف القبلية التي سار عليها الآباء في تعليم أبنائهم وتنشئتهم على القيم العربية الأصيلة حيث ينقل لهم الآباء من خلالها تجربة الأيام والسنين ، وما عركتهم فيه الدهور والخطوب من المسرات والأحزان ، وهذا التراث الثقافي والأدبي يتم فيه تعزيز الخصال الكريمة عندهم مثل الكرم والفروسية والشجاعة وحماية الجار وإغاثة الملهوف الى غير ذلك ، وتجنب الخصال السيئة والذميمة كالغدر والكذب والخيانة وشرب الخمر والزنى وغيرها ، فمن يلتزم بوصية الأب ينعم ويسلم ، ومن يتركها يشقى ويغتم ، وتعتبر الوصية هي من أهم ما يجب على الأب أن يتركه لأبنائه فهي أعز من المال والثروة ، وهي أغلى المعطيات في الإتباع والأسوة ، لأنها تمثل منهج تربوي يأخذ الأبناء الى مراتب المجد والسؤدد ، ويسمو بهم نحو النجم والفرقد ، لكي ينعموا في قبيلتهم بحياة هادئة هنيئة يعمها السلام والأمان وهم مرفوعين الرأس ، منشرحي الصدر من جهة ، وشعورهم بالعز والشموخ والإباء بين القبائل الأخرى من جهة ثانية.

وتشكل الوصايا تراثاً فكرياً وحضارياً جميلاً وغنياً بالمبادئ والقيم العربية الأصيلة وبما يحمله من معاني وعبارات وإشارات نثراً أو شعراً ، تكشف عن المحبة والرحم والحرص تناقله الأجيال بينهم ويذكرونه في مجالسهم ، ويستفيدون منه في تجاربهم ، وتكون مادة للتاريخ والقصة والأمثال التي تزخر بالعبر والنصائح والمواعظ التي لا يمكن لأي إنسان الاستغناء عنها وهو يشق طريقه في الحياة البدوية الصعبة دون الأخذ بها ، والاستفادة منها والسير على تعاليمها ، فهي بمثابة الدستور الذي يتمسك به العربي ويعتز فيه ، إذ تذكر تلك الوصايا في مجال المدح والمفاخرات والمباهاة ، جوانب الشجاعة والكرم والوفاء وعزة النفس ، وتعبر عن جوانب الحكمة والخبرة والدراية التي كان عليها ذلك الشخص الموصي ، وقد تنوعت مضامينها وأغراضها وأهدافها وللتوقف على أبرز مظاهر تلك الوصايا نوضحها فيما يأتي:

المبحث الأول

ملازمة الوصية لجانب الخوف والحذر على الأبناء من المستقبل المجهول

من الجدير بالذكر أن العربي في عصر ما قبل الإسلام كان يعيش في الحواضر والبوادي ، ففرضت المنطقة على كل منهما قيود وواجبات ، فالذي يعيش في المدينة لا يشعر بتلك القيود أو الالتزامات عكس ابن البادية ، فلم يكن ما يقدمه الآباء من وصايا لأبنائهم في المدينة ما فيها من الشدة والحرص عن التي يقدمها الآباء لأبنائهم في البادية ، حيث مجاهل الصحراء و مخاطرها ، وصعوبة الحياة وتكاليفها ، فصبغت تلك البيئة حياتهم بالجو الذي يعيشون فيه وتأقلموا عليه ، وهذه الوصية اتخذت الجوانب السلبية في دعوة الأبناء الى تجنب الشرور والأخطار التي قد تلحق بهم من خلال حسن النية ، وسلامة السريرة ، وإظهار الطيبة الزائدة ، مما تجعلهم فريسة سهلة بيد الأعداء ، فتأتي الأمور على غير ما يظن ، وتأتي الرياح بما لا تشتهيه السفن ، من خلال مخالطة الناس ومعاشرتهم والتعامل معهم ، مما جعلت من سلوكيات بعض الأبناء وتصرفاتهم يكتنفها الغموض وتطغى عليها جوانب من الحيطة والحذر وخشية الوقوع في المحذور ، وهذه الوصايا غرست في نفوس الأبناء صفة التشاؤم ، مما أنكرها الدين الإسلامي لأن الآباء عليهم أن يربوا الأبناء على الخير والصلاح فيما ينفعهم في معايشة الناس والتعاون معهم وزيادة الألفة والترابط بينهم ، فخير الناس من نفع الناس. وأحسن الشاعر حين يقول:[1]

---

(١) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص١٦٢.

ومن الأمثال السيئة في الوصية يتجلى لنا وصية دويد بن زيد[1] لما حضرته الوفاة وكان من المعمّرين فقال لأبنائه: "أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبرةً ، ولا تقيلوهم عثرةً ، قصّروا الأعنّة ، وطوّلوا الأسنّة ، واطعنوا شزراً ، واضربوا هبراً ؛ وارعوا الكلأ وإن كان على الصفا ، وما احتجم إليه فصونوه ، فإن غش الناس يدعو الى سوء الظن ، وسوء الظن يدعو الى الاحتراس ، وإذا أردتم المحاجزة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجز لا المحالة ، بالجدّ لا بالكدّ ، وبالتجلّد لا بالتبلّد ، والمنية ولا الدّنية ، لا تأسوا على فائت وإن عزّ فقده ، ولا تحنّوا إلى ظاعن وإن ألف قربه ، ولا تطمعوا فتطبعوا ، ولا تهنوا فتخرعوا ، ولا يكون لكم المثل السوء ؛ إنّ الموصّين بنو سهوان إذا متّ فارحبوا خطّ مضجعي ، ولا تضنّوا عليّ برحب الأرض ، وما ذلك بمؤدّ إلى روحا ولكن راحة نفس خامرها الإشفاق"[2].

ويتجلى لنا من تلك النماذج أيضاً في الوصية للأبناء التي فيها تمجيد بعض القضايا الاجتماعية التي تزدري بعقل المرء ونفسه وتجعل منه شخصية ضعيفة مترددة لا رأي لها تتمالكها الأهواء يميناً وشمالاً ، أسيرة الشهوات ليلاً ونهاراً ، فقد روي أن الملك المنذر[3] دعا ابنه النعمان وهو غلام شاب وأوصاه فقال: "يا بُنيَّ ، إن لي فيك

---

(١) هو دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير، هو أحد المعمرين.قال أبو حاتم: عاش دويد بن زيد أربعمائة سنة وستاً وخمسين سنة.السمعاني، الأنساب، ٢٠١/٤؛

(٢) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص٢٦؛ العسكري، جمهرة الأمثال، ٨٣/١؛الشريف المرتضى، غرر الفوائد، ص٢٣٦؛الآبي، نثر الدر، ٢٥١/٦؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٣/٦.

(٣) هو المنذر بن النعمان الأول ابن امرئ القيس بن عمرو اللخمي، أول (المناذرة) ملوك الحيرة والعراق.تولى الملك بعد أبيه (نحو سنة ٤٣١ م) وبنى دير (حنة) في الحيرة، وكان ديراً عظيماً. وفي أيامه حاصر الروم مدينة نصيبين فقهرهم المنذر. وزحف إلى سورية فأوغل في أراضيها. ثم زحف يريد القسطنطينية فحدث اضطراب في عسكره، فعقد الصلح مع الروم وعاد إلى الحيرة مقر ملكه، توفي سنة ٤٧٦م. الزركلي، الأعلام، ٧/ ٢٩٥.

رأياً دون غيرك من ولدي ، فإني آمرك بما أمرني به والدي ، وأنهاك عما نهاني عنه والدي ، آمرك بالذل في عِرضِك ، وذلك أن تكون ذليلاً في المعروف ، وعليك بالانخداع في مالك ، وأحبب لك خلوة الليل وطول السمر ، وأكره لك إخلاف الصديق ، وأطراف المعرفة ، وأنهاك عن مُلاحاة الحلماء ، ومزاح السفهاء ، إن لك عقلاً وجمالاً ولساناً ، فاكتس من ثناء الناس ما يؤيد جمالك ، ودع الكلام وأنت عليه قادر ، وليكن عليك من عقلك خبئٌ تدخره ليوم حاجتك ثم قال:[1]

إن ظـــني بمـــن أمـــرت بـــأمري ... حســـنٌ إن أعانـــت الأذنـــان

باســـتماع ومـــا ظفـــرت بشـــيء ... إن نبـــا مقـــولي عـــن النعمـــان

قـــد تفرســـت في بـــنيَّ وفيـــه ... فـــإذا الأمـــر ليـــس بالمتـــداني

فلـــئن تـــم مـــا أؤمـــل فيـــه ... مـــا لـــه في بـــني الملـــوك مـــدان

ولـــه الحـــظ في الجمـــال وفي ... العقـــل وحـــظ في مهلـــة ولســـان

ووصلت بالآباء الوصية أن يختبر أبناءه أشد اختبار ، ويمتحنهم في أصعب قرار ، ليعرف مدى طاعتهم إليه ، وإخلاصهم لأبوته وحسن انقيادهم لأمره ، وأبرهم به عند كبره وبعد موته ، إذ أمر أن يأخذ واحداً منهم السيف ويطعنه به فيقتله ليستريح في قبره ، وكان سبب موته أن كرز بن عامر العقيليّ طعنه ، وكان له بنون عشرة ، فأوصاهم عند موته ، واشتد به مرضه ، فقال: "الموت أروح مما أنا فيه ، فإياكم يطيعني؟ قالوا: كلُنا لك مطيع. فبدأ بأكبرهم ، فقال: خذ سيفي هذا ، فضعه على صدري ، ثم اتّكئ عليه حتى يخرج من ظهري! فقال: يا أبتاه ، وهل يقتل الرجل أباه؟ فعدل عنه إلى ولده ، كلّهم يقول مقالة الأول ، حتى انتهى إلى عُيينة ، فقال: يا أبتاه ، أليس لك فيما تأمرني به سلوى وراحة ، ولك مني فيه طاعة؟ قال: بلى ، قال: فمرني كيف أصنع؟ قال حصن: ألق السيف يا بُنيّ ، فإني أردت أن أبلوكم فأعرف أطوعكم لي في حياتي ، فهو أطوعكم لي بعد وفاتي ، فاذهب فأنت سيّد ولدي من

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٣.

بعدي ، ولك رياستي ، فجمع بني بدر فأعلمهم بذلك ثم قال: "اسمعوا ما أوصيكم به ، لا يتَّكلنّ آخركم على فعال أوّلكم ، فإن الذي يدرك به الأول حجة على الآخر ، وانكحوا الكفء من العرب فإنه عزّ حادث ، وإذا حاربتم فأوقعوا ، وقولوا واصدقوا ، فإنه لا خير في الكذب ، وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل ، واغزوا الكثير بالكثير ، وبذلك كنت أغلب ، ولا تغزوا إلا بالعيون – يعني بالأشراف– ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح ، وعجّلوا القرى فإن خيره أعجله ، وأعطوا على حسب المال ، فإنه أبقى لكم ، ولا تحسدوا من ليس مثلكم ، فإنما يحسد القوم أمثالهم ، ولا تحكروا على الملوك فإن أيديهم أطول من أيديكم ، ولاتأمنوا صراعات البغي ، ونضحات الغدر ، وفلتات المزاح ، واقتلوا كرز بن عامر فإنه قتلني ، فمات. فقام عُيينة بالرياسة ، وقتل كرزاً"[1].

ولقد قال الأوس بن حارث بن ثعلبة[2]. عند موته قصيدة يوصي فيها إلى ابنه مالك[3]. وذلك قبل الإسلام فيها:

فإن تكن الأيام أبلين أعظمي وشيبن رأسي والمشيب مع العمر

فإن لنا ربا عليّ فوق عرشه عليماً بما نأتي من الخير والشر[4].

---

(١) أبو حاتم السجستاني: المعمرون والوصايا، ص١٣٢ -١٣٣.

(٢) هو جد قبيلة الأوس، ارتحل هو وأخوه الخزرج من اليمن إلى نجران ثم مكة المكرمة ثم إلى يثرب حيث أقاما بها، وإليهما تنسب الأوس والخزرج الأنصار بالمدينة.انظر ترجمته لدى: "اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٠٣"، "وابن قتيبة: المعارف ١٠٩" "وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٣٣٢" "والزركلي: الأعلام ٣٧٤/١".

(٣) انظر ترجمة مالك في: "اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٠٣"، "وابن قتيبة: المعارف ١٠٩" "وابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٣٣٢" "والزركلي: الأعلام ٣٧٤/١".

(٤) السجزي: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر(المتوفى: ٤٤٤هـ): رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: تحقيق: محمد با كريم با عبد الله نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ص: ١٩٥.

ونلاحظ في هذه الوصية كيف أن الأب يحشم أولاده ويحرضهم على الثأر والعداوة والقتل لأن رجلاً طعنه في معركة فشعر بالمرارة والعار والذلة ، وكانت هذه من العادات والتقاليد السيئة التي كان الكثير من الآباء في العصر الجاهلي يربون أبناءهم عليها ، ويوصونهم بالوفاء في تنفيذها ، فليس عندهم سبيل لهم للعفو أو الصفح ، لذلك نجد أن هذه الوصايا التي فيها جانب الشر وطلب الثأر قد ذابت وانتهت مع ظهور الإسلام.

المبحث الثاني

ملازمة الوصية للجوانب المشرقة والنافعة في حياة الأبناء

تمهيد:

بلا شك أن قيمة الوصايا تنحصر كونها ترسم الطريق للأبناء ليسيروا عليه إذا أرادوا النجاح والفلاح في حياتهم ، لأنها تعبر عن الحرص والمحبة والشفقة من قبل الوالد على أبنائه فيما يقدمه لهم من النصائح والمواعظ ، وما يسديه لهم من التعاليم والمفاهيم التي عليهم الانتفاع منها ، والالتزام بها ، وتكون هذه الوصايا من أغلى ما يخلفه الوالد لأبنائه بعد موته ، وهي من أساليب التنشئة والتربية التي يعتز العربي بها ويفتخر فيها ، وهي تمثل تراث ثقافي عظيم يتوارثونه من الآباء والأجداد ، ففيه من الثوابت والمعايير التي لا يستطيع الأبناء التفريط بها أو التخلي عنها ، وهي توضح مقدار ما كان يمتلكه الآباء من الخبرات والتجارب ، وما تنم فيه عن سمات الحكمة والفطنة والفراسة في التعايش مع الغير في حياة ملؤها السعادة والسرور والسلام والأمان ، والعزة والمهابة والإباء والشمم.

وهذه الوصايا تحمل في طياتها أكثر من جانب من جوانب الحياة الاجتماعية والفكرية ، مما تجعل من الأبناء يذكرونها في معظم أيامهم ، ففيها سؤدهم ومجدهم ولأنها تعبر عن مناقبهم ومآثرهم ، ويشيدون بها ويكررونها بين أفراد الأسرة حتى تصبح من ضمن القانون الأسري التي على الأبناء التمسك بها والسير عليها وحفظ بنودها وكل ما ورد فيها ، لأنها تقوِّم من سلوك الأبناء وترقى بهم الى سلم المجد والخلود ومن يخالف تلك الوصايا تراه يؤنب ويعاتب وقد يُهجر ، لأنه انبرى الى عقله واتبع هوى نفسه ، مما جعله ينزلق ويتعثر في حياته نحو الفشل والبؤس والشقاء ، ويكون مدعاة للذم في ترك الوصية

والاستغناء عنها. ولعل وصية لقمان الحكيم لولده خير مثال على ذلك ففيها من القيم والمثل الإسلامية التي ترقى الى منهج تربوي وتعليمي عظيم عن أثر الوصية في التنشئة الاجتماعية لا يمكن الاستغناء عنه فقد قال لقمان لابنه: لا تركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فإنك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين. ولا بلاءها عقوبةً للعاصين. يا بُني لا تضحك من غير عجب. ولا تمش في غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعنيك ، يا بُني لا تضع مالك وتصلح مال غيرك ، فإن مالك ما قدّمت ، ومال غيرك ما تركت. يا بُني إنه من يَرحم يُرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم ، يا بُني زاحم العلماء بركبتيك ، وأنصت إليهم بأذنبك ، فإن القلب يحيا بنور العلماء ، كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء[1].

وقد اختلفت أغراضها وتنوعت أهدافها فيما يخدم مستقبل الأبناء وحياتهم الاجتماعية ومنها:

أولاً - الوصايا الخاصة بصيانة العز والشرف:

لقد عاش العربي في بيئته الصحراوية وهمه من الدنيا هو المحافظة على العز والشرف في أسرته وأبنائه وأحفاده لأنها من القيم والمبادئ التي لا يمكن التنازل عنها أو التفريط فيها ، فالعربي يقدم روحه ودمه رخيصة وجميع ما يملك في الدفاع والذود عن عزه وشرفه ولا يسمح لمن ينال منها قيد أنملة ، وهذه الخصلة من سمات الفخر في التعبير عن انتمائه وجذوره وحسبه ونسبه وعراقة أرومته ، لذلك كثرت الوصايا من قبل الآباء لرعاية هذه السجية في بيوتهم وعند أبنائهم ولعل ما أوصى به زرارة بن عدس[2] لّما جمع بنيه وبني بنيه خير شاهد على ما نقول إذ قال: "يا بنيَّ ، إنكم

---

(١) شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، ٢/ ٥١.

(٢) هو زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، من مضر العدنانية، حكيم وسيد قومه، وأنجب عشرة من الولد منهم حاجب بن زرارة، وابنه عطارد، كان فيهم رياسة وأمرة. البلاذري، أنساب الأشراف، ١٢/ ٢٩؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ١/ ٢٧٠؛ الزركلي، الأعلام، ٣/ ٤٣.

أصبحتم بيت تميم ، بل بيت مُضر ، يا بنيَّ: ما هجمتُ على قوم قطّ من العرب لا يعرفونني إلَّا أجلوني فَإذا عرفوني ازددت عندهم شرفاً ، وفي أعينهم عَظماً ، ولا وفدت إلَى ملك عربي قطّ ولا أعجمي إلا آثرني وشفعني ، يا بنيَّ: خُذوا من آدابي ، وقفوا عند أمري ، واحفظوا وصيتي ، وموتوا على شريعي ، وإياكم أن تدخلوا عليّ في قَبري حوبة أسبُّ بها ، فواللَّه مَا شايعتني نفسي على إتيان دنية ولا عمل بفَاحشة ، ولَا جمعني وعاهرة سقف بيت قطّ ، ولا حسنت لنفسي الغدر منذ شدّت يداي إزاري ، ولا فارقني جارٌ لي عن قلي –أي البغض والكره– ، ولا حملتني نفسي عن هوى يعيبني في مُضر ، يا بني: إن القالة– أي النميمة– إليكم سريعة ، والآذان سميعة ، فَاتقوا الله في اللّيل إذا أظلم ، وفي النهار إذا انتشر ، يكفكم ما أهمّكم ، وإياكم وَشرب الخمر ، فإنها مفسدة للعقول ، والأجساد ، ذهّابة بالطريف والتلاد ، زوجوا النساء الأكفاء ، وإلا فانتظروا بهنَّ القَضاء ، واذْكُرُوا قومكم إذا غابُوا عنكُم بمثل الَّذي تحبون أن تذكرُوا بِه ، يا بنيَّ: انشروا الخير تنشروا ، واستروا الشّر تستروا ، يا بني: قد أدركت سُفيان بن مجاشع شيخاً كَبيراً ، فَأخبرني أنه قد حان خروج نبي بمكة من مُضر يدعى أحمد عليه السلام ، يدعو إلَى البر والإحسان ، ومحاسن الأخلاق ، فإن أدركتموه فاتبعُوه لتزدادوا بذلك شرفاً إلَى شرفكم ، وعزاً إلَى عزكم..."[1].

وفي نفس المعنى جاءت وصية مالك بن المنذر البجلي[2] لبنيه ، وكان قد أصاب دماً في قومه ، فخرج هارباً بأهله حتى أتى بهم بني هلال ، فلما احتضر أوصى بنيه أن يعطوا قومه النصف من حدثه الذي أحدثه فيهم وقال: "يابنيَّ ، قد أتى عليّ ستون ومائة سنة ، ما صافحت بيميني يمين غادر ، ولا قنّعت نفسي بخلّة فاجر ، ولا صبوت بابنة عمّ ولا كنّة ، ولا طرحت عندي مومسة قناعها ، ولا بحت لصديقي بسرّ ، وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام ، وما عليه أحد من العرب غيري ، وغير أسد بن خزيمة ، وتميم بن مرّة ، فاحفظوا وصيّتي ، وموتوا على شريعتي: إلهكم

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٠ -١٢١؛ الآبي، نثر الدر، ٦/٢٥٦.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

فاتقوه يكفكم المهمّ من أموركم ، ويصلح لكم أعمالكم ؛ وإياكم ومعصيته ، لا يحلّ بكم الدّمار ، ويوحش منكم الدّيار. يا بنيّ ، كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً ، وإنّ موتاً في عزّ خير من حياة في ذلّ وعجز ، وكلّ ما هو كائن ، وكلّ جميع إلى تباين. الدهر صرفان: فصرف رخاء ، وصرف بلاء ، واليوم يومان: فيوم حبرة- أي فرح وسرور- ويوم عَبرة ، والناس رجلان: فرجل معك ورجل عليك ، وتزوّجوا الأكفاء ، وليستعملنّ في طيبهنّ الماء ، وتجنّبوا الحمقاء ؛ فإن ولدها إلى أفن ما يكون ، إلا أنه لا راحة لقاطع القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوّهم منهم ، وآفة العدد اختلاف الكلمة ؛ والتفضّل بالحسنة يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها. العمل السوء يزيل النّعماء ، وقطيعة الرّحم تورث الهمّ ، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يعقب النّكد ، ويمحق العدد ، ويخرب البلد ، والنصيحة تجر الفضيحة ، والحقد يمنع الرّفد ، ولزوم الخطيئة يعقب البلية ، وسوء الرّعة يقطع أسباب المنفعة ، والضغائن تدعو إلى التباين ؛ ثم أنشأ يقول:[1]

أكلت شبابي فأفنيته ... وأفنيت بعد دهور دهورا

ثلاثة أهلين صاحبتهم ... فبادوا وأصبحت شيخاً كبيرا

قليل الطّعام عسير القيام ... قد ترك الدّهر خطوي قصيرا

أبيت أراعي نجوم السّماء ... أقلّب أمري بطوناً ظهورا

وفي واقع الأمر أننا نجد أن هناك شخصيتين مشهورتين بالحكمة والكياسة والرياسة من قبيلة بجيلة ، فقيل: مالك بن المنذر ، وقيل: المنذر بن مالك البجلي ، وكل له وصية لبنيه ، ويبدو أن الشخصيتين هي واحدة ولكن هناك صار لبس في تقديم اسم الولد على أبيه ، وإن هذا الإشكال سببه ما تناقله الرواة شفاهاً ، وبما نالت تلك الوصيتين من شهرة في التربية والسلوك ومكارم الأخلاق.

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٣ -١٢٥ ؛ الشريف المرتضي،غرر الفوائد، ص٢٣٢ -٢٣٣.

ويبدو لأن مالك بن المنذر كانت وصيته الأولى لما ارتكب الجرم وهرب بقومه ، والثانية عند قرب موته وسنوضحهما فيما يأتي:

روي أن المنذر بن مالك البجلي أوصى بنيه وكان قد أصاب دماء في قومه فلحق ببني هلال ابن عامر ، فَلَمَّا حضره الموت جمع بنيه فقال: "باسمك اللهُمَّ ، يا بني أحفظوا أدبي يكفكم ، وابتغوا وصايتي تلحقوا بصالح قومكم ، فَإني لم أكلكم إِلَى أديب حي ، والمعنى بكم غائب عنكم ، آثروا ما يُجمل ، واقنوا أخياركم ، وأطيعوا ذوي الرأي منكم ، وأجلوا ذَوي أسنانكم ، ولا تعطوا الدنية ، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقى لكم ، وتناصروا تكونوا حمى ، وإذا قدمتم على قومكم فلتكن خلتكم واحدة ، ولا تستثيروا دفين داءٍ لم يدرك مثله ، يقطعوا عنكم النَّار ، وتعدموا بقومكم غيرهم ، ولا تدبروا أعجاز ما قد أودت صدوره فتفشلوا ، وعفوا عن الدناءة ، ووقروا أهل الكفاية ، ولا تواكلوا الرفد والنجدة فتجدي عظتكم ، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حاجزاً تكفوها ، ولا تقيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم ، وأطيلوا الصمت ، إلا من حق تسبقوا: والزموا الأناة تقر قدمكم ، واغتنموا الفرصة تظفروا ، وعجلوا تحمدوا ، ولا تأخذوا حبلاً من قَليل فَإن القَليل ذليل ، وخذوا الحبل من ذي المرة الكاثر ، وشمر لدرك الثأر ، ومنعة الجار ، واظعنوا في الشّهر الأصم تبلغوا دار قومكم سالمين ، وأوفوا بالعهد ، واتقوا الغدر ، فشؤم النساء والغدر أورثاني دار الغربة. وأوصى عمر بن يشكر البجلي فقال: يا بَنيَّ إِذا غدوتم فكبروا ، وإذا أرحتم فهجروا ، وإذا أكلتم فأوتروا- أي كلوا بثلاث أصابع- وإذا شربتم فأسئروا[1] وأوصى مصعب بن يشكر فقال: يا بنيَّ أوسعوا الحبا ، وحلوا الربا ، وكونوا أسى تكونوا حمى"[2].

(١) أي ابقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء.

(٢) الآبي: نثر الدر في المحاضرات، ٦/ ٢٥٨.

ومن ذلك وصية معاوية ابنه يزيد برعاية حق الحسين وإجلاله ، مما يعطي أن الحسيبن لم يكن معارضل لمعاوية هو وأخوه الحسن عليهما السلام ، وقد بايعاه لذم وصى معاوية ابنه يزيد برعاية االحسين عليه السلام[1]

ومن الوصايا المهمة وصية أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة لعمر رضي البله عنه وذلك أن أبا بكر –رضي الله عنه– وصى بالخلافة لعمر – رضي الله عنه – ، ووصى عمر – رضي الله عنه – إلى أهل الشورى ورضيت الصحابة بذلك لوم ينكروه ، وأيضاً فإن الأب لما ملك النظر في أمر أولاده الصغار بحياته ملك الوصية بأمرهم إلى من بعده٤ إذا لم يكن لهم ولي في الشرع بعده وهو الجد ، فكذلك الإمام مثله[2]

ثانياً - الوصايا الخاصة بالقيم الأخلاقية الكريمة:

حرص العربي على تلقين أبنائه منذ نعومة أظفارهم القيم الأخلاقية الكريمة التي هي تمثل المعيار الحقيقي الذي يميز شخصاً عن الآخر ، وهي الجمال الحقيقي الذي يعتز فيه الأبناء فيتفاخرون فيما بينهم ، وغالباً ما نرى ذكرى الانسان تبقى خالدة ومآثرة ماجدة بسبب أخلاقه الكريمة وصفاته العظيمة التي يتحدث عنها في المجالس وتتناقلها الألسن في أشعارهم وخطبهم فتصبح تاريخاً مشرقاً يشيد بصاحبها من قبل القريب والبعيد ، ويتجلى لنا هذا فيما أوصى به سعد العشيرة[3] بنيه لما حضرته

---

(١) الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ص:٢٦٨

(٢) العمراني أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣/٨٢١

(٣) هو سعد العشيرة بن مالك وهو مدحج بن أدد بن يزيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وكهلان يأتي نسبه عند ذكره في حرف الكاف، كان له من الولد الحكيم بطن، وصعب بطن، وجعفي بطن، وزيد الله بطن، ومرة وجسر وعائذ الله بطن، فدخل زيد الله وجسر في جعفي، وجعل في العبر سعد العشيرة بطناً من مدحج فقال: سعد العشيرة بن مدحج، وإنما قيل له سعد=

الوفاة فقال: "يا بنيَّ اتقوا إلهكم بالليل والنهار وإياكم وما يدعو إلى الاعتذار ، ودعوا قذف المحصنات لتسلم لكم الأمّهات. وإياكم والبغي ، على قومكم تُعَّمر لكم الساحات ، ودعوا المراء والخصام تسلم لكم المروءة والأحلام ، تحببوا الى العشائر تهبكم العمائر ، وجودوا بالنوال تنمُ لكم الأموال ، وإياكم ونكاح الورهاء فانها أدوأ الداء. وأبعدوا من جار السوء داركم. ومن قرين الغي مزاركم ، ودعوا الضغائن فإنها تدعو إلى التباين ، ولا تكونوا لآبائكم ضُرّاراً ، حياكم ربكم وسدد أمركم"[1].

ومن الآباء من ركز في وصيته على خصلة السخاء والكرم اعتقاداً منه أنها تُخلد المرء في حياته وبعد مماته ، وحث الأبناء أن يكونوا كرماء يجودون بالمال على الناس لمن يطلبه أو من لا يطلبه ، وكان العربي ينفق المال ليس حباً بالنفقة بقدر ما هو يريد من الآخرين أن يتحدثون عنه بالخير ويمجدون بسيرته وشخصه عند الغير ، ولنا في وصية الحارث بن كعب[2] لبنيه حين حضرته الوفاة خير دليل إذ قال: "يا بنيَّ ، عليكم بهذا المال ، فاطلبوه بأجمل الطلب ، ثمَّ اصرفوه في أجمل مذهب ، وصلوا منه

= العشيرة لأنَّه كان يركب فيما قيل في ثلثمائة من ولده وولد ولده، فإذا قيل له مَن هؤلاء؟ قال: عشيرتي. مخافة العين عليهم. الكلبي، نسب معد، ٢٦٧/١؛ الهمداني، عجالة المبتدي، ص٧٣؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ٢٩١/١.

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٢؛ الآبي، نثر الدر، ٢٤٧/٦؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٤٢/٣.

(٢) هو الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد المذحجي. يزعمون أنه عاش مائة وستين سنة، ورووا له وصية في الأخلاق والآداب والمواعظ والحكم.وهذا البطن من القحطانية قد سكنوا في مقاطعة نجران، وكانوا جيرانا لبني ذهل بن مزيقياء، بن الأزد، وبني حارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وكانت نجران قبلهم لجرهم، ثم نزلها بنو الحارث بن كعب، فغلبوا عليها بني الأفعى، ثم خرجت الأزد من اليمن، فمروا بهم، وكانت بينهم حروب، وأقام من أقام في جوارهم من بني نصر بن الأزد وبني ذهل بن مزيقياء، واقتسموا الرياسة، فنجران معهم، وكان من بني الحارث هؤلاء المذحجيين، بنو الرّيان، واسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك ابن كعب بن الحارث، وهم بيت مذحج وملوك نجران، وكانت رياستهم في عبد المدان بن الديان، وانتهت قبل البعثة المحمدية الى يزيد بن عبد المدان. للمزيد ينظر، عمر كحالة: معجم قبائل العرب، ٢٣١/١؛ جواد علي: المفصل، ٢٤٨/٨.

الأرحام ، واصطنعوا منه الأقوام ، واجعلوه جُنَّة لأعراضكم ، يحسن في الناس مقالكم ، فَإن بذله تمام الشّرف وثبات المروءة ، وأنه يسود غير السيد ، ويؤيد غير الأيد ، حتّى يكون عند النَّاس نبيلاً نبيها ، وفي أعينهم مهيباً ، ومن اكتسب مالاً ، فَلم يصل به رحماً ، ولم يُعط منه سائلاً ، ولم يصن به عرضاً ، بحث النَّاس عن أصله ، فَإن كان مدخولاً هتكوه ، وإن كان صحيحاً كسروه ، وإن لم يكن مدخولاً ألزموه دنية أو عرقاً لئيماً حتّى يهجنوه"[1].

ومن الآباء من حذر أبناءه من الظلم والتجاوز على الآخرين لأن من يفعل ذلك ستكون عواقبه وخيمه ونهايته أليمة ، وعلى المرء أن يعرف حجمه ولا يصيبه الغرور والتكبر ، فالظالم مهما طال ظلمه فلا بد للعدل الإلهي أن يقول كلمته ويسمع صوته ويريه قوته ، وبذلك يكون عبرة لمن يعتبر ولعل ما أوصى به عمرو بن الغوث بن طيء[2] قيل بلغ ولد طيء بن أدد: جمع ولده وولَد ولده حين حضرت الوفَاة وأوصاهم فقال: "يا بنيَّ ، إنّكم قد نزلتم منزلاً لا تدخلون منه ، ولا يدخل عليكم ، فارعوا مرعى الضَّب الأعور ، يعرف قدره ويرى جحره ، ولا تكونوا كالجراد لقف وادياً ، وترك وادياً ، وإياكم والبغي ، فَإن الله إذا أراد هلاك النملة ، جعل لها جناحين"[3].

ويتجلى لنا في هذه الوصية التحذير من الظلم والبغي ، والشرور والغرور وآثاره على الأبناء ، لأن عواقبها سيئها وختامها الندم ، كما نرى في وصية سبيعة بنت لاحب[4] لما ذكّرت فيها ابنها ويدعى(خالد) بالكف عن تلك العادات المقيتة

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٢ ؛ الآبي، نثر الدر، ٢٤٧/٦.

(٢) هو عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد، وله كثير من الأبناء منهم ثعل، ونبهان، وبولان، وقيل بلغ ولده وولد ولده خمسمائة رجل. االصحاري: الأنساب، ١٠٥/١ ؛ بن الأثير: اللباب، ٢٤٠/١.

(٣) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٥ ؛ الآبي، نثر الدر، ٦/ ٢٥٣.

(٤) هي سبيعة بنت لاحب بن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وهي امرأة من قريش اشتهرت بالحكمة والفطنة، وكانت زوجة عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. الزبيري، نسب قريش، ٢٩٣/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٠/١٠.

المكروهة ، ولاسيما في مكة لقدسيتها ومكانتها عند الله عز وجل ، وتذكره بتُبع[1] وما وما آلت فيه الأمور وما صنعت به الدهور فقالت:[2]

أبـــني لَـــا تظلـــم بمكـــة ... لا الصـــغير ولا الكبيـــر
وأحفـــظ محارمهـــا بُنـــيَّ ... ولا يغرنـــــك الغـــــرُور
أبـــني مـــن يظلـــم بمكّـــة ... يلـــق أطـــراف الشـــرور
اللـــــه أمّنـــــها، ومـــــا ... بنيـــت بعرصـــتها قصـــور
بُـــني يضـــرب وجهـــه ... ويلـــح بخديـــه الســـعير
أبـــني قـــد جربتهـــا ... فَوجـــدت ظالمهـــا يبـــور
ولَقَـــد غزاهـــا تُبـــعٌ ... فكســـا بنيتـــها الحبيـــر
وأذل ربـــــي ملكـــــه ... فيـــها فـــأوفى بالنـــذور
فـــاسمع إذا حـــدثت وافهـــم ... كيـــف عاقبـــة الأمـــور

ومن الآباء من أوصى بنيه بعدم الحزن على ما فات ، وبالتمسك بالعشيرة فهم السند والقوة ، وكونوا عند حسن ظنهم وفي خدمتهم ، وترك الظلم فإنه ظلمات ، والابتعاد عن النميمة والحذر من إشاعتها بين أبناء عمومتهم ، وعليهم بالسعي في

---

(١) تبع هو أحد ملوك اليمن من حمير بن سبأ، والذين يعرفون بالتبابعة، سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضاً، كلما هلك واحد قام مكانه آخر، تابعاً له على مثل سيرته. ابن منظور، لسان العرب، ٣١/٨.

غير أن الذي كسا الكعبة هو حسان بن أسعد بن أبي كرب الحميري وكان من أعظم تبابعة اليمن وأكثرهم غارات وهو الذي قضى على قبائل جديس باليمامة بعد طغيانهم على طسم. وقتله أخوه عمرو في مؤامرة عليه مع بعض القادة من حمير ويظن انه كان في القرن الرابع قبل الميلاد. وتبع لقب لملوك الدولة الحميرية الثانية وفي بلاد اليمن ولا يسمى تبعا حتى ينقاد اليه أهل الشحر وحضرموت ومن تخلف عن ملكه بعض هؤلاء يسمى ملكا. انظر ابن هشام، التيجان، ص ٢٩٧ ؛ العمري، الروض النضر، ١٥٢/٢ الهامش.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٥/١ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٦٦/١٠ ؛ السهيلي، الروض الأنف، ٩٣/١ ؛ الكلاعي، الاكتفاء، ٩٠/١.

عمل الصالحات وترك السيئات ، والمجازات على الحسنات لأنها تخلد المرء وتعلو ذكره بين قومه ، ويتجلى لنا ذلك في قول الحارث بن الحكم[1] آكل الذراع بنيه ، فقال: "يا بنيّ ، لا تبكوا على الزمان فإنه لا يزداد على رجل على السن من أهله قرباً إلا ازدادوا منه بعداً ، استأنسوا العشيرة ، ولا تمشوا بينها بالنميمة ، وكونوا لقومكم أتباعاً ، وإيّاكم والبغي ، فإنه آخر مدة القوم ، وجازوا بالحسنة ، ولا تكافئوا بالسيئة ولا تردّوا الكرامة ، ولا تبغوا ، غنيتم وبقيتم"[2].

ومن الآباء من أوصى بنيه بالسعي في طلب المال والرزق الحلال ، فالمال يورث القوة والجاه ، ويكف عنهم الأذى والجفوة ، من قبل كل ذي سطوة وسلطان ، على أن لا يبخلوا ولا يمسكوا في الإنفاق والإطعام ، لأن قيمة المرء في كرمه وجوده ، فهذا يخلد لهم حسن السيرة بين الناس ، وأن يتواصوا بالقرابة والرحم ففيهم العز والمنعة ولذلك أوصى الأشعث بن قيس[3] بنيه فقال: "يا بنيَّ ، لا تذلوا في أعراضكم ، وانخدعوا في أموالكم ؛ فإن أباكم كذاك كان يفعل ، لتخفَّ بطونكم من أموال النَّاس ، وظهور كم من دمائهم ، فإن لكل أمر تبعة ، وإياكم وما يعتذر منه أو يستحي ؛ فإنما يعتذر من ذنب ، ويستحي من عيب ؛ وأصلحوا المال لجفوة السلطان ، وتغير الزمان ، وأجملوا في طلب الرزق ، حتى يوافق النجاح قدراً ، وكفوا عند أول مسألة ؛ فإنه كفى بالود منعاً ، وامنعوا النساء من غير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت يتأسى بكم الكريم ، ويتشرف بكم اللئيم ، وكونوا في عوام النّاس ما لم يضطرب

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) أبو حاتم السجستاني: المعمرون والوصايا، ص١٣٤.

(٣) هو أبو محمد أشعث بن قيس الكندي، وكان سيد كندة، له صحبة ورواية، نزيل الكوفة، وقد ارتد أيام الردة، فحوصر وأخذ الأمان له ولسبعين من قومه، وقد زوجه الخليفة أبو بكر رضي الله عنه من أخته فروة بنت أبي قحافة، شهد اليرموك وأصيبت عينه فيها، وكان على ميمنة الإمام علي يوم صفين، وقد استعمله معاوية على أذربيجان، وكان نبيلاً جواداً كريماً، وهو أول من مشت الرجال في خدمته وهو راكب، وتوفي سنة ٤٠هـ. وصلى عليه الإمام الحسن بن علي عليه السلام. ابن سعد، الطبقات، ٩٩/٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢/ ٣٤٤؛ الهجراني، قلادة النحر، ٣٢٢/١.

الحبل ، فَإذا اضطرب الحبل ، فالحقوا بعشائركم ، وعودوا بفضلكم على قومكم ، فإنه لم يزل رجل منكم يرجى عذره وتعمر يده"[1].

وكانت في بعض الأحيان الوصية شاملة لكل معاني القيم والأخلاق الكريمة في التمسك بالحياء وطاعة المشايخ الكبار من أصحاب الخبرة والدراية والتحلي بالصبر وترك الجبن والحسد لأنه يكثر العداوة والبغضاء فضلاً عن الابتعاد عن تحريض النساء ومكائدهم الى غير ذلك ، ويتجلى لنا ذلك في وصية قيس بن معد يكرب[2] لولده فقال: "باسمك اللهم ، يا بني أحفظوا أدبي يكفكم ، وابتغوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم ، فَإني لم أكلكم إلى أدبي ، وإن المعنى بكم لغائب(يعني نفسه) ، الزموا ما يجمل ، واقنوا حياءكم ، وأطيعوا ذَوي رأيكم ، وأجلوا ذَوي أسنانكم ، ولَا تعطوا الدنية ، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقى لكم ، وتناصروا تكونوا حمى ، وإذا نزلتم على قومكم فلتكن خلتكم واحدة ، واهدروا الحسد يقطع عنكم النائرة ، ودعوا المكافأة بالشر يحببكم الناس ، وعفوا عن الدناءة ، وأكرموا أهل الكفاءة ، ولا تواكلوا الترافد والرياسة فيحل عطبكم ، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حجاباً ، ولا تدبروا أعجاز ما قد أدبرت صدوره ، ولا تقيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم ، والزموا الأناة يفز قدحكم ، وأطيلوا الصمت إلا فيما يعنيكم ، ولا تأخذوا ختلاً(أي خداعاً) وخذوا صُراحاً ، فهناك عز القرار ، ومنعة الجار ، واظعنوا في الأرض تبلغوا مأمنكم ، ولا تعرضوا لنمائم النساء ، وإياكم والغدر فإنه أحلني دار الغربة ، واعتبروا"[3].

---

(١) ابن عبد ربة: العقد الفريد، ٣/٩٩؛ الآبي: نثر الدر، ٦/٢٥٤.

(٢) هو أبو الأشعث قيس بن معد يكرب، بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن الحارث ابن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع، بن عفير الكندى، وثور بن عفير هو كندة، وإنما قيل له: كندة؛ لأنه كند أباه النعمة، أى كفرها، وكان سيداً جليلاً مشهراً بالشجاعة والكرم قال فيه الشاعر:

تطيف العفاة بأبوابه كطوف النصارى ببيت الوثن.

ابن خلدون، التاريخ، ٢/٣٢٩؛ جواد علي، المفصل، ١٢/٢٤٦.

(٣) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١٢٥ -١٢٦.

وتعـدت الوصـية في بعـض الأحيـان الأمـور الاجتماعيـة والأسـرية الى الاهتمـام بالخيول ومراعاتها والحفاظ عليها لأنها هي السند والمعتمـد في تحقيق مآرب العربـي في الغزو ورد المعتدي من ناحية الكر والفر ، فضلاً عن ما فيها من الخير والـرزق والبركـة فقـد أوصـى عمـرو بـن يزيـد الكلبـي"[1] بنيـه بالأرحـام ورعايتـهم وفي مقدمتـهم العيـال والنساء ، ثم أوصاهم الاقتداء بطاعة الكبار واحترام آرائهم والأخـذ بمشورتهم ، وحـثهم على الكرم والسخاء لأنهـا مـن الأمـور التي تحبب الناس فيـه ، وتخلد المرء بين قومـه وعشيرته فقال: "أوصيكم بتقوى الله ، وبرّ الرحم ، والحفظ للعيـال ، والإحـراز للحـرم ، ولا تحاسدوا فتذلّوا ، ولا تواكلوا فتفشلوا ، تعاطفوا يصلب عودكم ، وتقاربوا ، وتحابّوا يظهـر حـزمكم ، وأقلّوا المنطق ترهبـوا ، وتساخوا الفعـال-أي كونـوا كرمـاء أسـخياء- وأميتوا الضغائن تحمدوا العواقب ، واستعينوا علـى محاربـة عـدوكم بـذكر المعايـر- أي المعايب- والهرب منها كرم ، والتخوف لهـا جهـاد ، أزيلـوا عـنكم نيّـة البغـي ، وألزمـوا قلوبكم الإنصاف وعزيمة العفو تنصروا ، ولتكن أعلامكم ذوي الرأس منكم ، وأنزلـوهم منزلـة الآبـاء في التقليـد والإنفـاذ لأمـرهم ، فـإن أعظـم مصـائب القـوم خـلاف الشَّـفيق المصيب ، وطاعة المصيب ظفـر ، وإتباعـه يُمـن ، وإذا حـاربتم قوماً فـأطيلوا موافقتـهم ، وتأمّلوا فيهم الفرصة ، وإن أمكنكم البيات ففيه الظفر بعدوكم ، وإن منحوكم أكتافهم فوسِّعوا عليهم المسرب-أي منفذ الهروب- ، ونهنهوا عن لجـم المذاكي[2] ، وعنـد تلـك فأحبوا فراقهم ، فإن العافية لمن اعتصم بها ، ليرعكم ربُّكم"[3].

وتكللت الوصايا بقيم الشجاعة والفروسية حيث اهتم العربي بتعليم أبنائه منذ الصغر ركوب الخيل والضرب بالسيف ، وحسن المطاولة والتفوق بالمصاولة والإسراع بالمجاولة ومقارعة الفرسان في ساحات الوغى فهي من أبرز ما يفتخر بـه المقاتل العربي

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) أي كفوا عن وضع اللجام في أفواه الخيل الصغيرة التي مضى على استكمال أسنانها سنة أو سنتان.

(٣) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٩.

بين ضعنه وقبيلته ، ولعل ما أوصى به زهير بن جناب[1] بنيه خير شاهد على ما نقول في الثبات على المواقف الصعبة وشدة البأس مع الأعداء ، وعدم التهاون بالأمور ، أو الاغترار بالدهور ، لأن الكيس الفطن الذي يحسب لكل شيء حساب ، ويعلم أن النوائب والمصائب وراءها أسباب ، ولا ينجو منها إلا ذوي العقول والألباب إذ قال: "يا بنيّ ، قد كبرت سنِّي ، وبلغت حرساً يعني دهرا من عمري وأحكمتني التجارب ، والأمور تجربة واختبار ، فاحفظوا عني ما أقول ، وعوه ، إياكم والخور عند المصائب ، والتواكل عند النوائب ، فإن ذلك داعية للغمّ ، وشماتة لعدو ، وسوء الظنّ بالربّ ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترّين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه والله ما سخر امرؤ قط إلا ابتلى ، ولكن استعفوا منها ، وتوقّعوها ؛ فإنما الإنسان في الدنيا غرض ، تعاوره الرماة ، فمقصّر دونه ، ومجاوز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لابدّ أنه مصيبه"[2].

وجاءت بعض الوصايا في حث الأبناء على الجرأة والشجاعة ، واختبار الناس من خلال الإحاطة بصفاتهم وسماتهم ، والحذر من تأمين المرأة على الأسرار ، لأنها لا تستطيع تحملها وقد تفشيها في أي لحظة. ويتجلى لنا ذلك في وصية أود بن صعب بن سعد[3] لبنيه فقال: "يا بنيَّ ، أخيفوا الناس ولا تخافوهم ، واستخبروهم ، ولا

---

(١) هو الكاهن زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبيّ الأمير. هو أحد من اجتمعت عليه قضاعة وكان يدعى الكاهن لصحّة رأيه وعاش مائتين وخمسين سنة، أوقع فيه مائتي وقعة، وكان شجاعا ميمون النقيبة وذكر أنّ ابرهة حين طلع إلى نجد أتاه زهير فأكرمه وفضّله على من أتاه من العرب وأقره على بكر وتغلب ابني وائل فوليهم، ولما طال عمره استخلف ابن أخيه عبد الله بن عليم ثمّ رأى منه ما يكره فشرب الخمر صرفا حتى مات نحو ٥٦٤م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٩٩/١٩؛ أبو الفدا، المختصر، ٧٦/١؛ ابن الفوطي، معجم الآداب، ٥٩/٤؛ الزركلي، الأعلام، ٥١/٣.

(٢) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١٢٩؛ الشريف المرتضى، غرر الفوائد، ص٢٣٨؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٦/٦؛ صفوت، جمهرة الخطب، ١٢٦/١.

(٣) هو أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أزد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، حي من اليمن ويلقب أحدهم فيقال له: الأودي. ابن الأثير، اللباب، ٩٢/١؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ٨٧/١.

تُخبروهم ، وبئس موضع السر المرأة ، وكونوا من الموتورين على حذر ، وإذا دفعتم عن حقكم فاطلبوا أكثر منه ، وإذا بخع – أي وشي – لكم فاقتصروا عليه"[1].

وتكللت بعض الوصايا بغرس بذرة الصبر والتحمل في نفوس الأبناء في مواجهة الخطوب ، ولعل أشدها غارات الأعداء والحروب ، فعليهم بالتآزر والتكاتف فيما بينهم لردع العدوان ، وإظهار الشجاعة والبطولة في أرض المعركة ، والثبات والبأس في استقبال هجمات الجيش وفرقه وكتائبه ، وحذرهم من التراجع أو إعطاء ظهورهم للعدو فقد ينقض عليهم ويبيدهم عن بكرة أبيهم ، فهذه الموتة فيها الخزي والعار والدنية والشنار الذي يلحق بهم وبأسلافهم ، لذلك فإن خير القوم هو الصابر المحتسب عند نزول الموت والأخطار.

ويتجلى لنا ذلك في وصية أبجر بن جابر العجلي[2] لبنيه فقال: "يا بنيّ ، إن سرّكم طول البقاء وحسن الثناء والنِّكاية في الأعداء ، فإذا استقبلتم الخميس فاستقبلوهم بوجوهكم ، وإياكم أن تمنحوهم أكتافكم فتطعنوا بالرماح في أدباركم ، فإن أمثل القوم بقيّة الصابر عند نزول الحقائق"[3].

كما أوصى بعض الآباء بنيه بالإكثار من الأصدقاء ولاسيما في البلاد التي يسافروا إليها ، لأنهم غرباء فيكونون أولئك لهم عوناً على الأعداء ، وحذرهم من كثرة

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١٢٦.

(٢) هو أبو حجار ابجر بن جابر بن عايذ بن شريط بن عمرو بن مالك ابن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل البكري العجلي الكوفي، وكان شريفاً مطاعاً، حكيماً حليماً في قومه، ظل على نصرانيته حتى توفي زمن الإمام علي عليه السلام، وقد روي أن عبد الرحمن بن ملجم مرت به جنازة أبجر بن جابر العجلي ونصارى الحيرة يحملونه ومع ابنه حجار بن أبجر وشقيق بن ثور، وخالد بن المعمر، وحريث بن جابر وجماعة من المسلمين يمشون في ناحية إكراماً لحجار، فلما رآهم ابن ملجم أعظم ذلك وأراد غيرًا منهم، ثُم قال. لولا أني أعد سيفي لضربة هي أعظم عند الله أجرًا وثواباً لهممت في ضرب هؤلاء، ولاعترضتهم فإنهم قد أتوا أمرًا عظيماً،! فأخذ وأتي به الى الإمام علي فقال: هل أحدث حدثا؟ قَالُوا: لا. فخلى سبيله.البلاذري: أنساب الأشراف، ٤٩٤/٢ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠٥/٢١.

(٣) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١٣٩ ؛ ابن منقذ، لباب الآداب، ص١٨٨ -١٨٩.

الكلام والخطب لأنه توقعهم في الأخطاء والعثرات وزلات اللسان ولعل وصية أبجر العجلي لأبنه حجاراً لما أراد الإسلام خير دليل على ذلك فقال: "إذا قدمت المصر فاستكثر من الصديق ، فإنك على العدو قادر ، وإياك والخطب فإنها نشوار كثير العثار"[1].

وأوصى البذّال[2] لما مرض ابنيّ أخيه حريث بالحذر الشديد من الأعداء ، وقد دخلوا قومه عليه قبل موته فقالوا: كيف تجدك؟ فقال: أجدني مغفوراً! قالوا: يا أبا العلاء أوصي ، قال: أنا مغفور لي ؛ قالوا: قل إن شاء الله ، قال: قد شاء الله ذلك ، قالوا: لا تدع الوصيّة ، فقال لبني أخيه:[3]

بنيَّ حريث ارفعا وسادي واحتفظا بالجلّة الجلاد

فإنما حولكما الأعادي

وهنا نجد أن الوصية اقتصرت على المحافظة على الأموال وصيانتها ، فهي في نظره فيها العز والشرف والقوة والرفعة ، فبالمال يكثر الأصدقاء ، ويقهر الأعداء ، وهو ستر للوارث وكهف للخائف ، فبوجوده لا يخش المرء من ذي سلطان ، ولا يهاب من حوله العدوان ، ومعه يجد الإنسان الأمان والاطمئنان.

في حين نجد أن هناك مفارقة عجيبة في تلك الوصايا تستدعي منا التوقف عندها وتسليط الضوء عليها فبعض الآباء ، لا يهمه المال وجوده من عدمه بقدر ما تهمه سمعته ومكانته في عيون أبنائه وأحفاده وعشيرته ، وهمه هو أن يقضى دينه ولا تبقى ذمته مرهونة لأحد ، ويتجلى لنا ذلك في وصية وكيع بن أبي أسود[4] لبنيه عند موته وكان أحمق الناس ، وأظهرهم موقاً –أي غباوة – ، فقال: "يا بنيّ ، إنيّ لو قد هلكت

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١٣٩ ؛ الآبي، نثر الدر، ٦/٢٦١.

(٢) هو أبو العلاء البذّال بن مازن بن عمرو بن تميم.هذا ما ذكره أبو حاتم في المعمرون والوصايا. ص١٣٩.

(٣) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٣٩ – ١٤٠ ؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/ ٥٨.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

أتاكم قوم قد شمَّروا ثيابهم ، وحلقوا شواربهم ، وعفّروا جباههم ، فقالوا ، إن لنا على أبيكم دينا فاقضوا دين أبيكم ، إلا وإنّ قبل أبيكم تبعات إن يغفرها الله له ، فالدّين أهون مما هنالك ، وإن تكن الأخرى فلا يهلكنّ أبوكم وتذهب أموالكم"[1].

وهناك وصايا جاءت لتحث الأبناء على مراعاة ذوي القربى ومداراة الأرحام بالمعونة والسلوى ، من خلال التواصل معهم والمواصلة بالسؤال عنهم وتفقد أحوالهم وتقديم الدعم المعونة إليهم وإن أقبلوا عليكم بالترحيب فيهم ، فضلاً عن أنها شملت قيم أخلاقية أخرى اعتقد الآباء أنها ضرورية أن يحفظها الأبناء ويتمسكوا بها ولعل وصية مالك بن عمرو الكلبي[2] لبنيه خير شاهد على ما نقول: "يا بنيَّ ، عليكم بتقوى الله ، وصلة الرَّحم ، وأداء الأمانة ، ورعاية الحق ، والوفاء بالعهد ، وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم ، فإنه لا يسلم على الضغائن الكبير ، ولا يصلح عليها الصغير ، وصونوا أنفسكم بالدَّعة وبذل المعروف ، وكفُّوها عن سوء الرَّعة في الأمور ، وإن أقبح ذلك ماكان في المطمع ؛ واهجروا البغي فإنه مثبور ، وتجنّبوا العجب فإنه ممقتة ، ولا تقصروا عن طاعة أمرائكم ، ولا توجهوا الأمور دونهم ، فإنهم إن يشاركوكم فيها يكمل رأيكم ، والتمسوا المحامد في مظانَّها ، ولا يمنعكم من طلب المعاش اليأس ، فإن أبوابه أكثر من أن يبلغها الظانُّ ، استكثروا من الإبل يكثر تبعكم ، ولا تضيعوا رباطكم فيهدم حصنكم ، وإذا لقيتم العدو فاصبروا ، فإن في الصبر النجاة والدَّرك للتراث ، وألزموا النساء البيوت ، وخافوهنّ على أسراركم ، واجتمعوا ولا تفرقوا ، واحذروا الغدر فإنه نقمة ، وليحيكم ربُّكم"[3].

وأوصى بعض الآباء بنيه بألا يكترثوا على ما فات من الدنيا ، وعليهم أن ينشدوا

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٤٠.

(٢) هو شاعر جاهلي ينتسب إلى قبيلة كلب بن وبرة، كان جاراً لحمير باليمن مدح زرعة بن عمرو الحميري بقوله:

متى تفخر بزرعة أو بحجرٍ تجد فخراً يطير به السناءُ.

معجم الشعراء العرب، ص١٩٥٤.

(٣) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١٢٧.

السلام فما بقي من عمرهم بالخصال الحميدة والآداب الكريمة بعيداً عن اليأس ، وأن يتركوا الطمع والجشع ، لأنهما يورثان المرض والقلق ، ويفكروا في حاضرهم ومستقبلهم ، ويتجلى لنا ذلك في قول مضرس بن ربعي[1] لأبنه: "يا بُنيَّ ، إن الأسف مرض ، والطمع لؤم ، واليأس عجز ، فاسل عما فات ، واحرص فيما تستقبل ، وفكر ثم قدر ، ثم أحضر"[2]. وهو القائل:[3]

فلا تهلكنّ النفس لؤماً وحسرةً ... على الشيء سداه لغيرك قادرة

ولا تيأسنّ من صالح أن تناوله ... وإن كان بؤساً بين أيد تبادره

وما فات فاتركه إذا عز واصطبر ... عن الدهر إن دارت عليك دوائره

فإنك لا تعطي امرأً حظ غيره ... ولا تعرف الشق الذي الغيث ماطرة

ولا تظلم المولى ولا تضع العصا ... على الجهل إن طارت عليك دوائره

وحرص أكثر الآباء على تلقين أبناءه الشجاعة والشدة في مقاتلة الأعداء ، والتمسك بتقوى الله عز وجل وبخصال الخير والمعروف والإحسان ولا سيما مع بني جلدتهم ورحمهم ، ورعاية حقوق الجار وعليهم بالوفاء بالعهود وصيانة الوعود ، وترك الظلم لأنه النقمة التي يستفيد منها العدو في تدميركم. ومن تلك الوصايا وصية أبو قيس بن صرمة[4] فقال: "لا تنكلوا عن العدو ، ولا تبخلوا عن الصديق ، وجازوا ذا

---

(١) هو مضرس بن ربعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. شاعر محسن متمكن، توفي قبل البعثة. الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٢٥١؛ المرزباني، معجم الشعراء، ص٣٩٠؛ الزركلي، الأعلام، ٧/ ٢٥٠.

(٢) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٣٣.

(٣) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٣٣؛ الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٢٥١.

(٤) هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن النجار.قال ابن إسحاق: وكان رجلا قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها، ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً، لا يدخل عليه فيه طامث ولا جنب. وقال: أعبد رب إبراهيم. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم، فحسن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوالاً بالحق، معظما لله في الجاهلية. وكان يقول في الجاهلية أشعارا حسانا=

النعمة ، وتمسّكوا بحرمة الجار ، وتبادلوا ، وقدّموا أهل العيّ ، وأوفوا بالعهد ، وإياكم والبغي ، فإنه أقوى سلاح عدوكم"[1].

وأنشد:[2]

يقول أبو قيس وأصبح غاديا ... ألا ما استطعتم من وصاني فافعلوا

أوصيكم بالله والبرِّ والتُّقى ... وأعراضكم، والبرُّ بالله أوّل

وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم ... وإن كنتم أهل السَّيادة فاعدلوا

وإن نزلت إحدى الدَّواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فابذلوا

وإن طلبوا عرفاً فلا تحرموهم ... وإن كان فضل العرف فيهم فأفضلوا

وإن أنتم أعوزتم فتعفَّفوا ... وما حمَّلوكم في النَّوائب فاحملوا

وكان أبو قيس بن صرمة الأنصاري قد أوصى ولده عند موته بصلة الأرحام لأنها من القيم والخلال التي يحبها الله عز وجل ويثيب عليها ، وهي من معالم التقوى والخشية ، ثم أوصاهم بالأيتام من ذوي الرحم لأنهم أحوج الى المعونة والرعاية والاهتمام من غيرهم فقال:[3]

يا بنيّ، الأرحام لا تقطعوها ... وصلوها قصيرةً من طوال

واتّقوا الله في ضعاف اليتامى ... رُبما يستحل غير الحلال

اعلموا أنّ لليتيم وليّاً ... عالماً يهتدي بغير السّؤال

يا بنيّ، الأيّام لا تأمنوها ... واحذروا مكرها وكرّ اللّيالي

واعلموا أنّ مُرها لنفاد الـ ... ـخلق ما كان من جديدٍ وبال

واجمعوا أمركم على البرّ والتقـ ... ـوى وترك الخنا وأخذ الحلال

=يعظم الله فيها. ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٤٩/٦ ؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٣٤٣/٣.

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٣٣.

(٢) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٣٣ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٤٩/٦.

(٣) المبرد، التعازي والمرثي، ص١٤٦.

لقد كثرت وصايا الآباء التي تحث الأبناء على الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة ، التي ترفع من شأن المرء ومكانته بين قومه من جانب ، وبين القبائل الأخرى من جانب آخر ، ولعل وصية عوف بن كنانة الكلبي[1] الى بنيه قبل موته فيها إشارات وعبارات عظيمة في هذا الجانب حيث قال: "يا بَنيّ ، أحفظوا وصيتي ، فإنها أنصح الجبلة لكم ، وإن أنتم حفظتموها سدتم قومكم بعدي ، إلهكم فاتقّوه ، ولا تخونوا ، ولا تستثيروا السباع في مرابضها فتندموا ، وجازوا الناس بالكف عن مساوئهم تسلموا ، ونصحّوا وخفُّوا عند نائبتهم ، ولا تستبطئو في حق ، والزموا الصمت إلا من حق تحمدوا ، وابذلو التحية تسلم لكم الصدور ، ولا تظانَّوا بالمنافع فتباغضوا ، واستتروا من العامّة تجلَّوا ، ولا تكثروا مجالس الناس فيستخف بكم ، ولا تزايلوهم فتعادوا ، وإن نزلت معضلة فاصبروا ، وألبسوا الهر أثوابه ، فإن لسان الصدق مع المسكنة خير من لسان السوء مع الميسرة ، وذلُّوا لمن ذلّ لكم ، فإن أقرب الوسائل المودّة ، ولا تعلموا الناس أقتاركم—أي التقتير في العيش- فتهونوا عليهم ، ويجمّلوا تنجبوا ، وإياكم والعزبة فإنها ذلّة ، ولا تضعوا الكرائم إلا عند الأكفاء ، وابتغوا لأنفسكم المعالي ، ولا يخلجنكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فإن مناكحة الكرام مدارج الشرف ، واخضعوا لقومكم ، ولا تبغوا عليهم ، ولا تخالفوهم فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع ، وليكن معروفكم بعدهم في غيرهم ، ولا توحشوا أفنيتكم من أهلها ، فإن إيحاشها إخماد الناس ودفع الحقوق ، وأذكوا النار ، وأحيوا الحقوق ، ولا تبذلوا الوجوه إلى غير مكرميها فتكلحوها ، وتحشوها الدناءة ، وتقصروا بها ، ولا تحاسدوا فتبورا. والتمسوا بالتودد المنازل عند الولاة ، فإنهم من وضعوا أفرد ، ومن رفعوا أنجد ، وابتنوا المباني بالأدب ومصافاة أهل الحبا ، وابتاعوا المحبة بالجود ، واجتنبوا البخل ، ووقِّروا ذوي الفضيلة ، وخذوا عن أهل التجارب ، ولا تحتقروا الرجال من غير خبرة ؛ وإنما المرء بذكاء قلبه وتعبير لسانه ، وإذا

---

(١) هو أبو عبد ود عوف بن كنانة الكلبي من سادات بني كلب، وكان يستوطن مدينة حلب وكان بني كلب هم الأمراء في الشام. ينظر السمعاني، الأنساب، ٥/٢٠٠.

خوِّفتم داهية فتثبتوا قبل العجلة ، ولا يمنعنكم من المعروف صغر قدره ، فإن له ثوابا ، ولا تعفِّروا الأقدام إلا لأخطارها ، وتنبَّلوا تسمُ اليكم الأبصار ، وارفضوا النمائم بينكم تسلموا ، وكونوا أنجاد عند الملمات تعّوا ، واحذروا النجعة – طلب الكلأ في موضعه- التي في المنعة. وأكرموا الجار ، وآثروا حق الضيف ، وألزموا السفهاء الحلم تقلّ همومكم ، وإياكم والحرص فإنه من أسباب المتالف ، واتخذوا الزهد جنة تسترح أبدانكم ، وإياكم والفرقة فإنها ذلّ ، ولا تكلفوا أنفسكم فوق طاقتها فتعجزوا ، فلأن تلاموا وبكم قوة خير من أن تعانوا بالعجز ، وعليك بالجد فإنّ به يمنع الضيم ، وإياكم والتفريط فيه يكون الخلل ، ولا أجدبتم أبداً ، ولا غلبتم- أو -قال- ولا خذلتم"[1].

لقد أطرت القيم الأخلاقية أغلب الوصايا فضلاً عن أوامر فيها معاني الترغيب والترهيب ، وكرست بنود تلك الوصايا بالتعاليم والمفاهيم التربوية والأدبية والاجتماعية فيما تحتويه من نصائح وتوجيهات منها ما يشجع على صفات الحلم والعفو والشجاعة والسخاء والبذل وحسن المنطق وطيب لكلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنها توخي الحذر واليقظة في الرزايا والبلاء ، والتنبه من مطاوعة السفهاء ، والتأني في الفتن والأهواء ، والأخذ بالحزم والفطنة ورأي الحكماء ، من خلال إتباع أهل العلم والعقلاء ، والنأي عن الحمقى والجهلاء ، وعليهم بالمناصحة والمشاورة لأهل الخبرة والدراية البلغاء ، فهذه من مبادئ النصر والنجاح على الأعداء. وتتجلى تلك الصورة في وصية الأفوه الأودي[2] لبنيه حيث قال:

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١٣٥ -١٣٧.

(٢) الأفوه الأودي (٠٠٠ - نحو ٥٠ ق هـ = ٠٠٠ - نحو ٥٧٠ م)

هو صلاءة بن عمرو بن مالك، من بني أود، من مذحج، شاعر يماني جاهلي، لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره. وكان على عهد المسيح عليه السلام ، وهو أول من حمل عنه الشعر وهو القائل:

أيها الساعي على آثارنا نحن ممن لست من يسعى معه

نحن أوْد حين يصطفك القنا والعوالي بالعوالي مُشرعه

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢١٧/١ ؛ الصحاري، الأنساب، ١٣٢/١ ؛ الأشعري، التعريف بالأنساب، ٥٥/١ ؛ الزركلي، الأعلام، ٣/ ٢٠٦.

"عليكم بتقوى الله وصلة الرحم ، وحسن التعزِّي عن الدنيا بالصبر ، والنظر فيما حزبكم لما بعده تفلحوا ، وتفقّدوا حالاتكم بالمعرفة لحقوق أعلامكم فإنهم بكم عزُّوا ، وأنتم بهم أعزّ منكم بغيرهم ، كونوا من الفتن على حذر ، ولا تأمنوا على أحسابكم السفهاء ، ولا تشركوهم في سرّكم ، فإنهم كالضأن في رعيتها ، كلامهم ذعر ، وفعلهم عسر ، لا يستحيون من دناءة ، ولا يراقبون محرما ، ولا يغضبنّ منكم امرؤ لسفيه على ابن عمه وإن وزعه ، ولا تطمئنوا إلى أجسامهم ، واستوحشوا من عقولهم ، ولا تثقوا بناحيتهم ، وإن حاربتم فاتخذوهم حشوا فيما بينكم ، فإن النظر قبل اللقّاء حزم ، ولا حزم بعد الندامة ، فإذا اقتادكم امرؤ فوقِّروه بالإجلال والمناصحة تبلغوا بذلك من العدو ، وتنالوا به المحامد ، فإن لغد أمرا ، والأيام دُوَل ، فتأهّبوا ، وتصنّعوا لحلولها.

ثم قال: أما بعد ، فإن التجربة علم ، والأدب عون ، والكفّ عن ذلك مضرّة ، وليكن جلساؤكم أهل المروءة والطلب لها ، وإياكم ومجالسة الأشرار ، فإنها تعقب الضغائن ، والرفض لهم من أسباب الخير ، والحلم محجزة عن الغيظ ، والفحش من العيّ ، والغيّ مهدمة للبناء - يعني المعالي - ، ومن خير ما ظفرت به الرجال اللسان الحسن - يعني الثناء - قال الله عز وجل (لسان صدق في الآخرين). وفي ترك المراءِ راحة للبدن ، فلينظر كل رجل منكم إلى جهته ، فإن العجب كبر ، والكبر قائد إلى البغض ، واشنأوا البغي ، فإنه المرعى الوخيم ، واستصلحوا الخلل ، وتحاموا الذُّلّ ، اللهم عليك بأهل الحسد للنعم"[1].

وقال الأفوه:[2]

لنا معاشر لن يبنوا لقومهم ... وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

لا يرعوون ولن يرعوا لمرشدهم ... والغيُّ منهم معاً والجهل ميعاد

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص ١٣٠ -١٣١.

(٢) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ١١/١؛ الثعالبي، لباب الآداب، ١١٢/١؛ المستعصمي، الدر الفريد، ٢٣٠/٤؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٥١/٩؛ البصري، الحماسة البصرية، ٦٩/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٦٤/٣؛ الهاشمي، جواهر الأدب، ٤٢٢/٢.

كانوا كمثل لقيم[1] في عشيرتهم ... إذ أهلكت بالّذي قدَّموا عاد

أو بعده كقدار حين طاوعه ... على الغواية أقوام فقد بادوا

والبيت لا يبتني إلاَّ له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمَّع أقوام ذوو حسب ... تصطاد أمرهم، فارُشد مصطاد

لا يصلح النَّاس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهَّالهم سادوا

إذا تولّى سراة القوم أمرهم ... نما على ذاك أمر القوم وازدادوا

تهدي الأمور بأهل الرَّأي ما صلحت ... وإن تولَّت فبالأشرار تنقاد

أمارة الغيِّ أن تلقي الجميع لدى ... الإبرام للأمر للأذناب ينقاد

كيف الرَّشاد إذا ما كنت في نفر ... لهم عن الرُّشد أغلال وأقياد

أعطوا غواتهم جهلاً مقاءَتهم ... فكلهم في حبال الغيِّ منقاد

أخف الرَّحيل إلى قوم وإن بعدوا ... فيهم صلاح لمرتاد وإرشاد

فسوف أجعل بعد الأرض دونكم ... وإن دنت رحم منكم وميلاد

إنَّ النَّجاة إذا ما كنت ذا بصر ... مراجع الغيِّ أبعاد فأبعاد

والخير تزداد منه ما بقيت له ... والشرُّ يكفيك منه قلَّ ما زاد

ثالثاً - الوصايا الخاصة بالزعامة والرياسة:

كان النظام القبلي هو الشائع عند العرب قبل الإسلام ، حيث تكون الزعامة والرياسة لشيخ القبيلة ، ولذلك فهو يتمتع بسلطات واسعة ، وله الكلمة المسموعة فيهم ، واليد الطولى عليهم ، وفي القبيلة مجلس من ذوي الأحلام والنهى وهم أهل الحل والعقد ، ولكن شيخ القبيلة هو صاحب الرأي السديد فيهم ، فهو يصدر الأحكام ، وتعتبر أوامره مثل الدستور وعلى الجميع الطاعة والاحترام ، وهو نظام

(١) هو لقيم بن أوس الشيباني، شاعر جاهلي اشتهر بالحكمة والدراية. الأزهري، تهذيب اللغة، ٧٥/٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ٥١/٣.

وراثي ينتقل من الآباء الى الأبناء ، لذلك يكون من واجب شيخ القبيلة أن يعد أبناءه لتولي مهمة مشيخة القبيلة من بعده ، فتراه لا يدخر وسعاً ، ولا يألوا جهداً في تنشئتهم وإعدادهم لهذه المسؤولية من خلال الإكثار من الوصايا التي تشتمل على النصائح والمواعظ التي تؤهلهم ليكونوا أشخاصاً جديرين بهذا المنصب في المستقبل ، من خلال تسويد الرجل صاحب العقل الراجح ، والرأي الناصح ، وصاحب البأس الشديد ، والقول السديد ، يتحلى بالشجاعة والحلم ، ويده مبسوطة للعطاء ، والجود والسخاء ، لأن الكرم في نظر العربي ، نعم الدواء لكثير من الأدواء ، وكذلك التحلي بالصبر والعفو لأنه من شيمة الكرام ، وتتجلى لنا تلك الصورة في وصية رياح بن ربيعة[1] لبنيه قبل موته فقال: "يا بنيّ ، سوِّدوا أعقلكم ، فإن أمير القوم إذا لم يكن عاقلاً كان آفة لمن دونه ، وجودوا على قومكم ، وإياكم والبخل ، فإنه داء ، ونعم الدواء السخاء ، والتغافل فعل الكرام ، والصمت جماع الحلم ، والصدق في بعض المواطن عجز ، واستعينوا على من لا تقوون عليه بالجموع ، واعلموا أن سيِّد القوم أشقاهم ، وإياكم والمنّ ، فإنه مهدمة للصنيعة"[2].

وتعد مسألة تقدم السن عند الرجل العربي مهمة وضرورية وفيها دلالة واضحة على الدراية والحكمة والخبرة والتجربة ، لذلك كانت وصايا رؤساء القبائل وشيوخها الى أبنائهم أن يراعوا هذا الجانب في الاختيار والتنصيب للزعامة والرياسة ، وفيما يمتلك الكبير من مزايا وخلال وخصال تشير الى الهيبة والتبجيل والتقدير والاحترام ولعل وصية قيس بن عاصم المنقري[3] خير شاهد على ذلك فقد جاء فيها:

---

(١) هو أبو ربيعة رياح بن ربيعة بن عوف بن هلال بن مخالف بن دهر بن الحارث بن عمرو بن هلال، وقد دخلوا في تغلب على نسب، وهم رهط الهذيل بن هبيرة بن حبيب بن الحارث بن حرقة.البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣/ ١٨٠.

(٢) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٣٠.

(٣) هو أبو علي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس واسم مقاعس: الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي المنقري. وإنما سمي الحارث مقاعساً، لتقاعسه عن حلف بني سعد بْن زيد مناة. وأمه أم أسفر بنت خليفة. وفد على النَبي ﷺ في وفد بني=

"أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، وسوِّدوا أكبركم ، فإن القوم إذا سوَّدوا أكبرهم لم يفقدوا أباهم ، وضعوا كرائمكم في أعقابكم ، وتزوّجوا في مثل ذلك ، فإنكم إذا فعلتم مثل ذلك خلفتم أباكم ، وعليكم بطلب المال واصطناعه ، فإن المال منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الرجال ، فإنها آخر كسب المرء ، ولا يعلمنّ بمدفني بكر بن وائل ، فإني كنت أغاورهم – أي أغير عليهم- في الجاهلية ، وكانت بيني وبينهم خماشات – أي جراحات كقطع يد وأذن وغيره- فأخاف أن يفتنوكم في دينكم ، أو يدخلوا عليكم غضاضة ، ولا تنوحوا عليّ ، فإن رسول الله ﷺ لم ينح عليه".[1]

يعرفونني إلَّا أجلوني فَإذا عرفوني ازددت عندهم شرفاً ، وفي أعينهم عَظماً ، ولا وفدت إلَى ملك عربي قطّ ولا أعجمي إلا آثرني وشفعني ، يا بنيَّ: خُذوا من آدابي ، وقفوا عند أمري ، واحفظوا وصيتي ، وموتوا على شريعي ، وإياكم أن تدخلوا عليّ في قَبري حوبة أسبُّ بها ، فواللَّه مَا شايعتني نفسي على إتيان دنية ولا عمل بفَاحشة ، ولَا جمعني وعاهرة سقف بيت قطّ ، ولا حسنت لنفسي الغدر منذ شدّت يداي إزاري ، ولا فارقني جارٌ لي عن قلي—أي البغض والكره- ، ولا حملتني نفسي عن هوى يعيبني في مُضر ، يابني: إن القالة- أي النميمة- إليكم سريعة ، والآذان سميعة ، فَاتقوا الله في اللّيل إذا أظلم ، وفي النهار إذا انتشر ، يكفكم ما أهمّكم ،

=تميم، وأسلم سنة تسع للهجرة، ولما رآه النبي ﷺ قال: " هذا سيد أهل الوبر ".
وكان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم، قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ فَقال: من قيس بن عاصم، رأَيته يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه، يحدث قومه، إذ أتى برجل مكتوف وآخر مقتول، فقيل: هذا ابن أخيك قتل ابنك، قَال: فوالله ما حل حبوته، ولا قطع كلامه، فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه، فقال: يا بن أخي، بئسما فعلت، أثمت بربك، وقطعت رحمك، وقتلت ابن عمك، ورميت نفسك بسهمك، وقللت عددك، ثُم قَال لابن له آخر: قم يا بُني إلى ابن عمك، فحل وثاقه، ووار أخاك، وسق إلى أمك مائة من الإبل ديّة ابنها فإنها غريبة. البغوي، معجم الصحابة، ٣/٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤١١/٤؛ الهجراني، قلادة النحر، ٤١٧/١.

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٣٥.

وإياكم وَشرب الخمر ، فإنها مفسدة للعقول ، والأجساد ، ذهّابة بالطريف والتلاد ، زوجوا النساء الأكفاء ، وإلا فانتظروا بهنَّ القَضاء ، واذْكُرُوا قومكم إذا غابُوا عنكُم بمثل الَّذي تحبون أن تذكرُوا بِهِ ، يا بنيَّ: انشروا الخير تنشروا ، واستروا الشّر تستروا ، يا بني: قد أدركت سُفيان بن مجاشع شيخاً كَبيراً ، فَأخبرني أنه قد حان خروج نبي بمكة من مُضر يدعى أحمد عليه السلام ، يدعو إلَى البر والإحسان ، ومحاسن الأخلاق ، فإن أدركتموه فاتبعُوه لتزدادوا بذلك شرفاً إلَى شرفكم ، وعزاً إلَى عزكم..."[1].

وفي نفس المعنى جاءت وصية مالك بن المنذر البجلي[2] لبنيه ، وكان قد أصاب دماً في قومه ، فخرج هارباً بأهله حتى أتى بهم بني هلال ، فلما احتضر أوصى بنيه أن يعطوا قومه النصف من حدثه الذي أحدثه فيهم وقال: "يابنيَّ ، قد أتى عليّ ستون ومائة سنة ، ما صافحت بيميني يمين غادر ، ولا قنّعت نفسي بخلّة فاجر ، ولا صبوت بابنة عمّ ولا كنّة ، ولا طرحت عندي مومسة قناعها ، ولا بحت لصديقي بسرّ ، وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام ، وما عليه أحد من العرب غيري ، وغير أسد بن خزيمة ، وتميم بن مرّة ، فاحفظوا وصيّتي ، وموتوا على شريعتي: إلهكم فاتقوه يكفكم المهمّ من أموركم ، ويصلح لكم أعمالكم ؛ وإياكم ومعصيته ، لا يحلّ بكم الدّمار ، ويوحش منكم الدّيار. يا بنيّ ، كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً ، وإنّ موتاً في عزّ خير من حياة في ذلّ وعجز ، وكلّ ما هو كائن كائن ، وكلّ جميع إلى تباين. الدهر صرفان: فصرف رخاء ، وصرف بلاء ، واليوم يومان: فيوم حبرة-أي فرح وسرور- ويوم عَبرة ، والناس رجلان: فرجل معك ورجل عليك ، وتزوّجوا الأكفاء ، وليستعملنّ في في طيبهنّ الماء ، وتجنّبوا الحمقاء ؛ فإن ولدها إلى أفن ما يكون ، إلا أنه لا راحة لقاطع القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوّهم منهم ، وآفة العدد اختلاف الكلمة ؛ والتفضّل بالحسنة يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة الدخول

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٠ -١٢١ ؛ الآبي، نثر الدر، ٢٥٦/٦.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

فيها. العمل السوء يزيل النّعماء ، وقطيعة الرّحم تورث الهمّ ، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يعقب النّكد ، ويمحق العدد ، ويخرب البلد ، والنصيحة تجر الفضيحة ، والحقد يمنع الرّفد ، ولزوم الخطيئة يعقب البلية ، وسوء الرّعة يقطع أسباب المنفعة ، والضغائن تدعو إلى التباين ؛ ثم

أنشأ يقول:[1]

أكلت شبابي فأفنيته	وأفنيت بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم	فبادوا وأصبحت شيخاً كبيرا
قليل الطّعام عسير القيام	قد ترك الدّهر خطوي قصيرا
أبيت أراعي نجوم السّماء	أقلّب أمري بطوناً ظهورا

وفي واقع الأمر أننا نجد أن هناك شخصيتين مشهورتين بالحكمة والكياسة والرياسة من قبيلة بجيلة ، فقيل: مالك بن المنذر البجلي ، وقيل: المنذر بن مالك البجلي ، وكل له وصية لبنيه ، ويبدو أن الشخصيتين هي واحدة ولكن هناك صار لبس في تقديم اسم الولد على أبيه ، وإن هذا الإشكال سببه ما تناقله الرواة شفاهاً ، وبما نالت تلك الوصيتين من شهرة في التربية والسلوك ومكارم الأخلاق.

ويبدو لأن مالك بن المنذر كانت وصيته الأولى لما ارتكب الجرم وهرب بقومه ، والثانية عند قرب موته وسنوضحهما فيما يأتي:

روي أن المنذر بن مالك البجلي أوصى بنيه وكان قد أصاب دماء في قومه فلحق ببني هلال ابن عامر ، فَلَمَّا حضره الموت جمع بنيه فقال: "باسمك اللهُمَّ ، يا بني أحفظوا أدبي يكفكم ، وابتغوا وصايتي تلحقوا بصالح قومكم ، فَإني لم أكلكم إِلَى أديب حي ، والمعنى بكم غائب عنكم ، آثروا ما يُجمل ، واقنوا أخياركم ، وأطيعوا ذوي الرأي منكم ، وأجلوا ذَوي أسنانكم ، ولا تعطوا الدنية ، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقى لكم ، وتناصروا تكونوا حمى ، وإذا قدمتم على قومكم فلتكن

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٢٣ -١٢٥ ؛ الشريف المرتضي،غرر الفوائد، ص٢٣٢ -٢٣٣.

خلتكم واحدة ، ولا تستثيروا دفين داءٍ لم يدرك مثله ، يقطعوا عنكم النَّار ، وتعدموا بقومكم غيرهم ، ولا تدبروا أعجاز ما قد أودت صدوره فتفشلوا ، وعفوا عن الدناءة ، ووقروا أهل الكفاية ، ولا تواكلوا الرفد والنجدة فتجدي عظتكم ، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حاجزاً تكفوها ، ولا تقيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم ، وأطيلوا الصمت ، إلا من حق تسبقوا: والزموا الأناة تقر قدمكم ، واغتنموا الفرصة تظفروا ، وعجلوا تحمدوا ، ولا تأخذوا حبلاً من قَليل فَإن القَليل ذليل ، وخذوا الحبل من ذي المرة الكاثر ، وشمر لدرك الثأر ، ومنعة الجار ، واظعنوا في الشّهر الأصم تبلغوا دار قومكم سالمين ، وأوفوا بالعهد ، واتقوا الغدر ، فشؤم النساء والغدر أورثاني دار الغربة. وأوصى عمر بن يشكر البجلي فقال: يا بَنيَّ إذا غدوتم فكبروا ، وإذا أرحتم فهجروا ، وإذا أكلتم فأوتروا- أي كلوا بثلاث أصابع- وإذا شربتم فأسئروا[1] وأوصى مصعب بن يشكر فقال: يا بنيَّ أوسعوا الحبا ، وحلوا الربا ، وكونوا أسى تكونوا حمى"[2].

رابعاً - الوصايا الخاصة بالزواج:

لعل من الأغراض التي شاعت واشتهرت عند العرب قبل الإسلام هي الوصايا الخاصة بالزواج ومسألة اختيار الفتاة صاحبة العفة والشرف والنسب العريق فضلاً عن الجمال والدلال والرقة والأنوثة التي حرص الآباء أن يوصون أبناءهم الزواج منها ، والاقتران بها ، وعليهم الأخذ بتلك الوصايا وهي من أسس التنشئة السليمة لأنها من عوامل النجاح في بناء الأسرة الكريمة الطيبة التي يعتز بها الأبناء في المستقبل ، فضلاً عن إنها تولد الاستقرار العاطفي والنفسي الذي له أثره في تربية الأبناء التربية الصحيحة حيث يتفاخرون بأمهم أنها كانت كريمة الحسب والنسب.

وشملت الوصايا البنات حيث عبرت عن حرص الآباء في تقديم النصيحة والموعظة لهنّ في الاهتمام بجمالهنّ ورعاية حُسنهن والتمسك بطيبهنّ وإبداء نظارتهنّ

---

(١) أي ابقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء.

(٢) الآبي: نثر الدر في المحاضرات، ٦/ ٢٥٨.

ومداراة أنوثتهنّ والتي تكثر من الخُطّاب والراغبين في الزواج الاقتران بهنّ ، لأن تلك الأمور مما يحببه الرجال بالنساء ، وهي أيضاً من عوامل زيادة الحب والتعلق بالزوجة ومن أسباب الاستقرار والانسجام الأسري فكثرت تلك الوصايا حتى زخرت بها كتب التراث الأدبي عند العرب قبل الإسلام ويتجلى لنا وصية عامر بن الظرب العدواني[1] أنه لما زوج ابنته ابن أخيه عامر بن الحارث بن الظرب ، وقال لأمها حين أراد البناء بها ، قولي لابنتك: "لا تنزلنَّ فلاة إلا ومعها ماء ، وأن تكثر استعمال الماء ، فإن الماء جعل للأعلى جلاء وللأسفل نقاء ، وإياك أن تميلي إلى هواك ورأيك ، فإنه لا رأي للمرأة ، وإياي ووصيتك ، فإنه لا وصية لك ، أخبري ابنتك أن العشق حلوٌ ، وأن الكرامة المؤاتاة ، فلا تستكرهنّ زوجها على نفسه ، ولا تمنعه عند شهوته فإن الرضا في الإتيان عند اللذة ، ولا تكثر مضاجعته فإن الجسد إذا ملَّ ملَّ القلب ، ومريها فلا تمزحنّ معه بنفسه ، فإن ذلك يكون منه الانقباض ، ومريها فلتخبأ سوءتها منه ، فإنه وإن كان لا بد أن يراها ، فإن كثرة النظر إليه استهانة وخفة"[2].

وأوصت امرأة الحارث بن عمرو الكندي ابنتها عند زواجها فقالت لها أمها: "أي بُنيَّة! إن الوصية لو تركت لَفضلٍ في أدبٍ تركت ذلك منك ، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبه للغافل ، ولو أن امرأةً استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كُنت أغنى الناس عن الزواج. ولكن للرجال خُلق النساء ، كما لهنّ خُلق الرجال. أي بَنيَّة! إنك فارقت الحواء الذي منه خرجتِ ، والوكر الذي منه دَرجت ، إلى وكرٍ لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح بملكه إياكِ عليكِ ملكاً ، فكوني له أَمَةً يكُنْ لكَ عبداً. يا بُنيَّة! أحفظي عني خصال عشراً ، تكن لكِ ذُخراً وذِكراً: فأما الأولى والثانية

---

(١) هو عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عياذ العدوانيّ، حكيم، خطيب، رئيس، من الجاهليين. كان إمام مضر وحكمها وفارسها. وممن حرم الخمر في الجاهلية. وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما. وهو أحد المعمرين في الجاهلية، وأول من قرعت له العصا، وكان يقال له: ذو الحلم، وفيه قول الشاعر: إنَّ العصا قرعت لذي الحلم. وهو أول من سن دية المقتول مائة من الإبل. العمري: الروض النضر، ٢/١٥٨؛ الزركلي: الأعلام، ٣/ ٢٥٢.

(٢) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص٦٠؛ العسكري، الأوائل، ص٧٥.

الصُحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحُسن السمع والطاعة ، فإن في القناعة راحة القلب ، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب ، وأما الثالثة والرابعة والتعاهد لموقع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشمُّ منك إلا طيب الريح. واعلمي أي بُنية أن الماء أطيب الطيب المفقود ، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود ، وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت طعامه ، والهُدُوُّ عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلهبة ، وتنغيص النوم مغضبة. وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيته وماله ، والرعاية على حشمه وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حمنُ سُنُ التقدير ، والرعاية على الحشم والعيال من حُسنُ التدبير. وأما التاسعة والعاشرة فلا تُفشي له سراً ، ولا تعصي له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أوغرتِ صدره. ثم اتَّقي مع ذلك الفرح إن كان تَرِحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير. وكوني أشدَّ ما تكونين له إعظاماً أشدَّ ما يكونُ لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مُرافقة ، واعلمي أنَّك لا تصلين إلى ما تُحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت. والله جلّ وعزَّ بخير لك"[1].

ويا لها من وصية عظيمة فيها من الدروس والعبر ما تجعل من الحياة الزوجية مستقيمة ، تنعم بالدفء والحنان ، بعيداً عن المشاكل والخصومات ، مما تضفي على الأسرة والأبناء جو من الحب والهدوء والسكينة والرعاية والاهتمام بين الزوجين ، لأنها أشارت الى جميع الأمور التي يحبها الرجل من المرأة التي يقترن فيها وهي بلا شك تعد من الثوابت في التربية السليمة للبنات في رعاية حقوق الزوج والأولاد.

ومنه أن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وصى ابنته عند الزواج فقال: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل

---

(١) أبو حاتم السجستاني: المعمرون والوصايا، ص ١١٩ -١٢٠ ؛ المفضل: الفاخر، ص١٨٦ ؛ العسكري: مجمع الأمثال، ٢٦٢/٢ ؛ الزمخشري: ربيع الأبرار، ٢٤٩/٥ ؛ أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ١٤٥/١.

فإنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء[1].

خطب عمرو بن حجر ملك كندة ، أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني ، ولما حان زفافها إليه خلت بها أمها أمامة بنت الحارث ، فأوصتها وصية ، تبين فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة ، وما يجب عليها لزوجها فقالت: أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل.

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها – كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا.

واحفظي له خصالا عشرا ، يكن لك ذخرا.

(أما الاولى والثانية) فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة.

(وأما الثالثة والرابعة) فالتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك ألا أطيب ريح.

(وأما الخامسة والسادسة) فالتفقد لوقت منامه وطعامه.

فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة.

(وأما السابعة والثامنة) فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الامر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير.

(وأما التاسعة والعاشرة) فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتما ، والكآبة بين يديه إن كان فرحا[2].

---

(١) سيد سابق: فقه السنة ٢/٢٣٣.

(٢) سيد سابق: فقه السنة ٢/٢٣٤.

الفصل الثالث

الوصايا عند المسلمين

المبحث الأول

الوصايا في عهد الرسول

أولاً - الوصايا في الجانب العقدي والعبادي

ثانياً - الوصية في الجانب الاجتماعي

ثالثاً - البر بالوالدين:

رابعاً - العدل بين الأبناء:

خامساً - الوصية في حفظ الصحة وتربية البدن:

سادساً - الوصايا التي تحث على ترك الخصال السيئة

المبحث الثاني

الوصية في العصر الراشدي

أولاً - الوصايا التي تحث على التقوى وأركان الإسلام:

ثانياً - الوصايا التي تخص الجوانب الإدارية والاهتمام بالرعية:

ثالثاً - الوصايا التي تحث على الجانب الخلقي

رابعاً - الوصايا التي تحث الأبناء على الرياضة والحركة والثقافة

خامساً - الوصايا التي تنهى عن الخصال الرديئة

سادساً - الوصايا التي تخص آداب المائدة

تمهيد

انطلق المسلمون في تقديم الوصايا الى أبنائهم وفلذات أكبداهم متأثرين بما جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء ، من تعاليم وقيم سماوية سمحاء ، وكان القرآن العظيم ميداناً رحباً وواسعاً لكل شؤون الحياة الدنيوية والأخروية ، وتليها السنة النبوية المطهرة إذ تعد رافداً خصباً ويانعاً للارتقاء بالأبناء فكرياً ونفسياً واجتماعياً ، وصار هذا المنهج الرباني برنامجاً تربوياً شاملاً وصحياً متكاملاً للتنشئة الاجتماعية والأسرية يصلح لكل زمان ومكان ، وهو المعين الذي يستقي منه المسلمون تعاليمهم وتجاربهم وأفكارهم ، يروون من خلاله ظمأهم ، وينشدون فيه ضالتهم ، ويبلغون به طموحاتهم ، فالقرآن الكريم فيه من السور والآيات والقصص والشواهد والصور والأفكار والآراء التي في غاياتها وأهدافها العبرة والحكمة والموعظة الحسنة وهي أهداف نبيلة وسامية في التربية والسلوك هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن ما نطق به النبي الكريم محمدﷺ من أحاديث مباركة وأقوال شريفة فيها من النصائح العظيمة والمواعظ الكريمة التي تُحسِّن من أخلاق الأبناء وترتقي بتصرفاتهم وترتفع بهم الى سمات الكمال والجلال مستلهمين من ذلك قول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)[1].

ولعل في التمسك بالسنة خير دليل على ما نقول فقد قال تعالى: (وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)[2]. أي: مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر: قال ابن كثير: "أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره ، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه ، وارتكب ما عنه زجره ونهاه"[3].

---

(١) سورة الإسراء، ٩.

(٢) سورة الحشر، ٩.

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم، ٦٨/٨.

يقول سيد قطب: "هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم ، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان ؛ ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق ، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان. يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء ، وتربط بين نواميس الكون ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق. ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض ، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة. ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء. ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار. ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال ، ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفراداً وأزواجاً ، وحكومات وشعوباً ، ودولاً وأجناساً ، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى ؛ ولا تميل مع المودة والشنآن ؛ ولا تصرفها المصالح والأغراض. الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه ، وهو أعلم بمن خلق ، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل ، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان. ويهدي للتي هي أقوم في شأن الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها ، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية الصحيحة في سلام ووئام"[1].

ولتسليط الضوء على أبرز الوصايا التي قدمها الآباء الى أبنائهم منذ بزوغ فجر الإسلام مروراً بالعصر الراشدي والأموي والعباسي نوضحها فيما يأتي:

---

(١) للمزيد ينظر، في ظلال القرآن، ١/٤ -٦.

المبحث الأول

الوصايا في عهد الرسولﷺ

تمهيد:

النبيﷺ هو المعلم الأول وهو المربي الأكمل لهذه الأمة ، ففي هديه يهتدون ومنه يتعلمون ، وله يحاكون وبه يقتدون ، إذ قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[1].

فسلك مع المسلمين الطريق التربوي الأمثل ليأخذ بأيديهم الى شاطيء السلام ويهديهم الى سبيل الرشاد فقالﷺ: "إنما بعثت معلماً"[2]. وأكد الرسولﷺ على صفة الرأفة والرحمة والحنو واللين مع المتعلمين في تلك الوصية حيث يقول: "إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكُم"[3] ، فالنبيﷺ كان يحدث المسلمين في كل الأمور التي تعرض عليه من قبل الوحي ، والتي فيها جانبين أحدهما مادي: أي أنه تكلم بما يحفظ مؤسسة الأسرة من الضياع والدمار والخراب من خلال توضيح الدور والمسؤولية للأبوين بتنشئة الأبناء التنشئة السليمة من خلال إتباع سنته وإطاعة أوامره في الطرق والأساليب الناجعة في التنشئة الاجتماعية ، فضلاً عن ذلك أنه تحدث بأمور فيها جانب غيبي: أي أنه تكلم عن الآثار السلبية التي تنجم عن ترك الأبناء دون رعاية أو تربية أو اهتمام مما يجعلهم ينشئون على العادات السيئة والخصال القبيحة ، وقد ينجرفون نحو الجريمة وتبني الأفكار الهدامة من قبل أصدقاء السوء والمتطرفين

---

(١) سورة الأحزاب، ٢١.

(٢) الدارمي، السنن، ٣٦٥/١؛ ابن ماجة، السنن، ١٥٥/١.

(٣) ابن حنبل، المسند، ٢١٢/٧؛ النسائي، السنن، ٣٨/١؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٢٧٧/١.

والمنحرفين من المسلمين وغير المسلمين ، كما أنهم يصبحون صيداً سهلاً لمروجي الثقافات الغربية وهم يدعونهم الى التحلل والتفسخ وإشاعة الموبقات وارتكاب المحرمات وهذا بدوره يؤول الى ضياعهم ودمار مستقبلهم. لذلك ألزم الآباء بتلك المسؤولية العظيمة من خلال الوصايا التي تعتمد النصيحة والموعظة إذ قال النبيﷺ: "كفى بالمرءِ إثماً أن يضيّع من يقُوت"[1].

لذلك نجد أن الرعيل الأول من صحابة النبيﷺ كانوا دؤوبين وحريصين ، في إتباع منهج النبيﷺ في الوصية عن طريق استيعاب الموعظة والنصيحة والتوجيه والإرشاد فلم يتخلوا أو ينفكوا عن ذلك المنهج قيد أنملة وكان عندهم بمثابة الكنز العظيم لما فيه من السداد والرشاد ، والخير والإسعاد ويوصف كتاب الله العزيز وسنة رسول اللهﷺ بأنهما النور المبين والهدي القويم لقوله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)[2].

وأصبح التذكير بهما واجب شرعي لقوله تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ)[3]. وقال تعالى: (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى)[4].

ولأن البيت والأسرة هي منشأ الولد ومركز تدريبه وتربيته وتعليمه منذ اللحظات الأولى من ولادته فكانت مسؤولية الأبوين عظيمة فقد قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ)[5]. أي مروهم بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر ، ولا تدعوهم هملا فتأكلهم النار يوم القيامة ، فكرسوا جهودهم ، وبذلوا جل وقتهم نحو الأبناء بما سمعوه وما شاهدوه وما حفظوه عن النبيﷺ في التربية والتنشئة

---

(١) ابن حنبل، المسند، ٣٦/١١؛ أبو داود، السنن، ١١٨/٣؛ البزار، البحر الزخار، ٣٩٢/٦.

(٢) سورة يونس، ٥٧.

(٣) سورة ق،٤٥.

(٤) سورة الأعلى، ٩.

(٥) سورة التحريم، ٢٦.

والتجربة والتذكرة والتعليم والتفهيم والتلميح والتوضيح والإرشاد والسداد لقوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّه)[1]. لذلك كانت مسألة طاعة الرسولﷺ مقرونة بطاعة الله عز وجل وهي من صلب الإيمان به سبحانه وتعالى ، لقوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[2].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "كل شيء خالف أمر رسول اللهﷺ سقط ، ولا يقوم معه رأي ولا قياس ، فإن الله تعالى قطع العذر بقول رسول اللهﷺ ، فليس لأحد معه أمر ولا نهي غير ما أمر هو به"[3].

فرسول اللهﷺ لم تتوقف وصاياه في دعوته ومواعظه على أهله وأصحابه وقومه وعشيرته ، منذ البعثة وحتى التحاقه بالرفيق الأعلى ، وإنما كانت دعوته رسائل موجه الى المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها ، فضلاً عن غير المسلمين ، وكانت وصاياه مركزة على إحياء البناء الإنساني ، وإصلاح الكيان الأسري ، وتقويم السلوك الأخلاقي ، والذي بدوره ينعكس إيجاباً نحو المجتمع الإنساني قاطبة.

بلا شك أن وصايا الرسولﷺ الى الأبناء انحصرت في تقوية العقيدة الصحيحة وأركانها في أنفسهم ، وإيقاد جذوتها في قلوبهم ، والحفاظ على أصول الشريعة وتعاليمها في حياتهم ، وإتباع ما نطق به النبيﷺ من أحاديث وأقوال في سلوكياتهم وتصرفاتهم وتعاملاتهم ، ولاسيما ما يساعد على بناء الصرح الأخلاقي والتربوي للمجتمع الإسلامي ، من خلال حفظها وتفعيلها قلباً وقالباً ، ثم قولاً وعملاً ، لأن الله عز وجل عاتب المؤمنين الذين يضعون مساحة بين قولهم وفعلهم فقال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ)[4].

---

(١) سورة الحجرات، ٧.

(٢) سورة الأنفال، ١.

(٣) للمزيد ينظر كتاب الأم، ١٩٣/٢.

(٤) سورة الصف، ٢ -٣.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الدعوة الإسلامية رسالة عملية واقعية لا تؤمن بالكسل والخمول والأقوال الفارغة وإنما بالحركة والنشاط والأفعال التي تغير الواقع الى حاضر أفضل ومستقبل ناجح وصالح.

أولاً - الوصايا في الجانب العقدي والعبادي

بلا شك أن ما نطق به النبيﷺ من وصايا للآباء لتنشئة الأبناء على تعليمهم كلمة التوحيد منذ ولادتهم من خلال سماع الأذان ، حيث أوصى الآباء بالتأذين في أذنهم اليمنى والإقامة في أذنهم اليسرى[1]. خير شاهد على أهمية هذه الوصية في نشأة الأبناء على معرفة الله سبحانه وتعالى وربطهم في خالهم عقائدياً وروحياً.

ويبدو أن سر التأذين فيه حكمة ربانية ويكمن في عصمة الطفل من الشيطان الرجيم[2]. فضلاً عن غرس بذرة الإيمان في نفسه وهو صغير فيتعود ويتطبع على كلمة التوحيد والتنزيه لله عز وجل. فقد أوصى النبي ﷺ ضرورة أن يتعلم الطفل العقيدة السليمة منذ الولادة فقال: "افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله"[3].

ثم بعد ذلك جاءت الوصية بتعليمهم الصلاة وهم صغار ، فهي عمود الدين ، والركن الأهم في شريعة المسلمين ، ثم تربيتهم على الحياء و مخافة الله عز وجل في السر والعلن ومراعاة حدوده ومعرفة حلاله وحرامه ، حتى تستقيم حياتهم وترتقي أخلاقهم الى ما يحبه الله تعالى ويرضاه منهم فقال النبيﷺ: "مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر سنين ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع"[4].

نستشف من خلال هذه الحديث كيف أن النبي ﷺ يوصي الآباء بتنشئة الأبناء

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٩٨/٣.

(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص١٠٣.

(٣) البيهقي، شعب الإيمان، ٣٩٨/٦.

(٤) أبو داود، السنن، ٣٦٧/١؛ ابن الأثير، جامع الأصول، ١٨٧/٥؛ المزي، تحفة الأشراف، ٣١٧/٦؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٣٩/١٦.

على الإيمان والتقوى وأهمية الصلاة في حياتهم وكيف أنها تجعلهم أجيالاً صالحين راشدين ، وشباباً ناجحين متفوقين ورجالاً ناجحين فالحين في بناء مجتمعهم وأمتهم في المستقبل بفضل بركة الصلاة.

وسوف نتطرق الى بعض الوصايا من قبل النبيﷺ للأبناء منذ بواكير الدعوة الإسلامية وهي تتلخص بعبارات وإشارات تركز على تلك القيم والمفاهيم التي أشرنا إليها آنفاً.

من الجدير بالذكر أن أهداف الدين الإسلامي تلخصت وتكللت في تربية الأبناء وتنشئتهم على العقيدة السليمة بعيداً عن الشرك ، وكانت هذه من أولى المهام التي كرس الرسولﷺ جهوده لتلقينها الى الأبناء في سن مبكرة عندما يبدأوون بالفَهم والإدراك والوعي ، ولعل ما يتجلى هنا وصية النبيﷺ لأبن عمه عبد الله بن عباسﷺ وكان غلام جفر وقد حمله النبيﷺ معه يوماً على دابته فقال: "يا غلام ، إني معلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك ، أحفظ الله تَجدْه تجاهك ، وإذا سألتَ فلتسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أنَ الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجَفت الصحف"[1].

وكرس الرسولﷺ وصاياه طوال مدة بعثته الشريفة لتعزيز قيمة التوحيد في نفوس المسلمين ، ونبذ الشرك ، وجميع الأمور التي تفسد عقيدتهم الدينية فضلاً عن الدنيوية وترك كل ما يعكر صفو حياتهم من الخصال القبيحة والتي لا يقرها الدين والخلق فقد روي أن معاذ بن جبلﷺ أراد سفراً ، فقال: يا نبي الله أوصني! قال: أعبد الله لا تشرك به شيئاً ، قال: يا نبي الله زدني ، قال: إذا أسأت فأحسن ، قال: يا رسول الله زدني قال: استقم وليحسن خلقك[2].

---

(١) ابن حنبل، المسند، ١٩٥/٣؛ الترمذي، السنن، ٦٦٧/٤؛ أبو يعلى، المسند، ٤٣٠/٤؛ الطبراني، المعجم الأوسط، ٣١٦/٥.

(٢) الدولابي: الكنى والأسماء، ٦٢٩/٢؛ ابن حبان، الصحيح، ٢٨٣/٢؛ ابن حجر العسقلاني، اتحاف

وكان النبيﷺ يوصي بالصلاة لأنها عماد الدين وأكثر ما يسأل عنه العبد يوم القيامة فعن عليٍّ بن أبي طالبعليه السلام أن رسول اللَّهﷺ طرقه – أي مره به ليلاً- وفاطمة بنت رسول اللَّه عليها السلام ليلة فقال: ألا تُصليان؟ فقلت: يا رسول اللَّه ، أنفسنا بيد اللَّه ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليَّ شيئاً ثم سمعته وهو مُوّلٍ يضرب فخذه وهو يقول: (وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)[1]"[2].

وكان النبيﷺ يكثر من وصاية المسلمين بالصدق لأنه عمود الدين وركن الأدب وأصل المودة فيما بينهم وبين الآخرين ، وهو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة ، لذلك على الأبناء أن يتعلموا الصدق وما فيه فضيلة وكرامة إذ قال: "إيّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ، وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة ، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق فيكتب عند الله صديقاً"[3].

وأحسن الشاعر حين يقول: [4]

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا الله فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

ومن وصاياه في العقيدة فقد وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه بهذه الوصية ، فعن أبي ذر قال: "أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه

المهرة، ٦٥١/٩.

(١) ينظر سورة الكهف، ٥٤.

(٢) ينظر ابن حنبل، المسند، ٥٥٢/١؛ البخاري، الصحيح، ٥٠/٢؛ البزار، البحر الزخار، ١٤٢/٢.

(٣) البخاري، الصحيح، ٢٨/٨؛ الترمذي، السنن، ٣٧١/٤.

(٤) المستعصمي، الدر الفريد، ٢٤٥/٧؛ الأبشيهي، المستطرف، ٢٥٦/١.

وسلم أني أخشى الله كأني أراه ، فإن لم أكن أراه فإنه يراني[1]

ومن وصايا الأنبياء في العقيدة والعبادة قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) الشورى١٣ ، فشَرَعَ لَكُمْ أي: بيَّن وأوضح مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تحليل الحلال وتحريم الحرام ، قاله قتادة. والثاني: تحريم الأخوات والأُمَّهات ، قاله الحكم. والثالث: التوحيد وترك الشِّرك. قوله تعالى [2].

ومن ذلك آخر ما وصى به رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم يعني أسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله)[3].

ومن الوصايا الموجزة ما ورد عن على قال: جاء رجل إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال أوصنى وأوجز فقال هيئ جهازك وأصلح زادك وكن وصى نفسك فإنه ليس من الله عوض ولا لقول الله خلف[4].

ثانياً - الوصية في الجانب الاجتماعي

شرع الإسلام الوصية للآباء في تربية الأولاد اجتماعياً وحضارياً بأسلوب تعليمي راقي يكتنفه الحكمة والخبرة والتجربة يؤهلهم بأن يكونوا على قدر من المسؤولية

---

(١) ابن رجب الجنبلي جامع العلوم والحكم (١٢٦/١).

(٢) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ٦١/٤.

(٣) العراقي وأصحابه تخريج أحاديث أحياء علوم الدين ٩٧٤/٢ قال العراقي: رواه النسائي في الكبري وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي - صلّى الله عليه وسلم - وهو في الموت جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواه مسلم في حديث جابر الطويل وفيه فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله الحديث اهـ.

(٤) العاملي: كنز العمال ح ٤٤١٦٤ وعزاه للديلمي في المسند وفيه محمد بن الأشعث وهو ضعيف.

والسمو بأخلاقهم وسلوكياتهم الى ما هو أفضل وأجمل ولاسيما في تناول الأطعمة ومجالسة الناس ومعاشرتهم حتى لا يعاب عليهم أو ينتقص منهم ، ولعل في الجلوس الى المائدة وطريقة تناول الطعام هي من أولويات تلك الوصايا فقد حرص الرسولﷺ في وصيته لأبناء المسلمين أن بالجلوس بوقار أمام الطعام واحترام المشاركين لهم ، ثم البدء بذكر الله عز وجل المتفضل والمنعم فهو من يسر لكم النعمة ومنحكم الصحة لتتذوقونها ، وتستطعمونها ، وتأكلونها ، وبلا أدنى شك أن ذكر التسمية فيها جانب تربوي وعقدي إذ تؤكد الإقرار بالربوبية لله الرزاق والخالق مما يزيد في بركتها وخيرها.

روى عمر بن أبي سلمةرضي الله عنه[1] قال: "كنت غلاما في حجر النبيﷺ وكان يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول اللهﷺ: يا غلام سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك"[2].

كما أوصى النبي ﷺ بضرورة شكر النعمة لتدوم وتزداد وللحفاظ عليها من النقص والزوال فقال: "إن الله تبارك وتعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة ، أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها"[3].

كما أوصى النبيﷺ الأبناء بالتوازن والاعتدال في تناول الطعام ، للحفاظ على صحتهم وسلامتهم حيث قال: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب المسلم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"[4].

---

(١) هو أبو جعفر عمر بن أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومي، ربيب النبي ﷺ، أمه أم سلمة، ولد بأرض الحبشة فى آخر السنة الثانية من الهجرة، وقيل إنه كان يوم قبض رسول الله ﷺ ابن تسع سنين، روى عن النبي ﷺ روى عنه سعيد بن المسيّب، وعروة بن الزّبير، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف. روى له الجماعة. وشهد مع على بن أبى طالب عليه السلام يوم الجمل، واستعمله على فارس، وعلى البحرينن توفي سنة ٨٣هـ. ابن سعد، الطبقات، ١٦٦/٢؛ النووي، تهذيب الأسماء، ١٦/٢؛ الفاسي، العقد الثمين، ٣٤١/٥.

(٢) البخاري، الصحيح، ١٢٤٠/٣؛ مسلم، الصحيح، ص٩٠٢.

(٣) مالك، الموطأ، ٦٨٠/٣؛ الترمذي، السنن، ٢٦٥/٤.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني، الطب النبوي، ١/ ٢٤٢.

وحذر النبيﷺ من التخمة والبطنة لأنها تترك الجسد خاملاً كسولاً وعليلاً هزيلاً ، وأما العقل فضيقاً جامداً ، ومحدوداً بليداً ، فيصاب المرء بالسقم والمرض فقالﷺ:

"المعدة بيت الداء"[1]. وقيل: أن هذا ليس بحديث وإنما هو من كلام الحكماء.

وجاء في وصية للنبيﷺ ينبه الى خطورة الامتلاء والكظة في البطون لأنها تورث الأمراض والأسقام فقال: "لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلب كالزرع إذا كثر عليه الماء مات"[2]. قال العراقي: ليس له أصلاً.

ثم أوصى النبيﷺ المسلمين باحترام خصوصية بعضهم البعض الآخر ، سواء بين الأسرة الواحدة ، أو بين أبناء المجتمع عموماً ، من خلال نشر مبادئ العفة وخلق الحياء ، ولعل الاستئذان في مقدمتها روى أنس بن مالكﷺ قال: كنت خادماً للنبيﷺ ، فكنت أدخل بغير إستئذان فجئت يوماً فقال لي: كما أنت يا بني ، فإنه قد حدث بعدك أمر ، لا تدخلن إلا بإذن"[3].

والاستئذان تستطيب له النفس ، لأنه يحمي أعراض الناس ويستر عوراتهم على الآخرين ، وكان النبيﷺ يوصي الأبناء بهذا الخلق الكريم ، ليربيهم على العفاف والشرف ، بلطف وشفافية دون أن يجرح مشاعرهم أو يخدش كبريائهم فقد روي أن رجلاً قال للنبيﷺ أستأذن على أمي؟ قال: نعم ، قال: إنها ليس لها خادم غيري ، أفأ ستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة ، قال الرجل: لا ، قال: فأستأذن عليها"[4].

وهذه الوصية فيها رسالة عظيمة الى أبناء المسلمين للمحافظة على البناء الأسري والمجتمعي من الانحراف والرذيلة وشيوع الزنى والتفسخ والضياع ، من خلال مراعاة

---

(١) السخاوي، المقاصد الحسنة، ٣١٣/١.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٨١/٣.

(٣) البخاري، الأدب المفرد، ص٢٨١.

(٤) مالك، الموطأ، ١٤٠٢/٥؛ ابن أبي شيبة، المصنف، ٤٢/٤؛ البيهقي، الآداب، ص٢٤٧.

خصوصيات الآخرين واحترامهم بإشاعة أدب الاستئذان بينهم لما له من أهمية وأثر في صيانة الأعراض أن تكون مرتعاً رخيصاً لكل راع.

ويلحق بهذه الوصية إشاعة التحية والسلام بين الأسرة الواحدة من جانب وإفشاءها بين المسلمين من جانب آخر ، فهذا الأدب ينشر الاطمئنان والأنس والارتياح بين الناس ، فقد أوصى النبيﷺ بذلك الأبناء فقال: "يا بنيَّ إذا دخلت على أهلك فسلم ، يكون بركة عليك وعلى أهلك"[1].

وكان النبيﷺ يوصي أصحابه بهذا الخلق الكريم ليعلموه بدورهم الى أبنائهم روي أن رجلاً من بني عامر "استأذن على النبي ﷺ وهو في البيت فقال: أألج؟ فقال النبيﷺ لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان ، فقل له: قل: السلام عليكم أأدخل؟فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أدخل؟ فأذن له النبيﷺ فدخل"[2].

ويبدو أن الوصية بإفشاء السلام تكرس معنى الإيمان الحقيقي في قلوب الأبناء ولقد اختير لفظ السلام من بين الألفاظ ليكون تحية الإسلام ، وذلك لأن فيه الدعاء بالسلامة من الآفات والأسقام في كل ما يتعلق بالدين والنفس ، وفيه عهداً من المسلمين فيما بينهم على حفظ أعراضهم وأموالهم ودمائهم ، وقد أمر الله عزّ وجل المسلمين بإفشاء السلام فيما بينهم ، فقال: (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[3].

وعلى المجمل أن إفشاء التحية والسلام وإعلانها بين المسلمين هي من دواعي الألفة والمحبة وإشاعة البشر والسعادة لمن تلقاه من إخوانك ، وكان النبيﷺ يوصي بعدم ترك السلام لأنه الشعار الحقيقي لدين الإسلام ، وهي تكون قبل الحديث والكلام ، وتفصح بدورها عن شخصية الإنسان وأخلاقه إذ قال: "والذي نفسُ محمدَ بيده ، لا تدخلوا الجنة حتىِ تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، أدلكم على شيء إذا

---

(١) الترمذي، السنن، ص٧٧٥؛ النووي، رياض الصالحين، ص٢٨٩.

(٢) البخاري، الأدب المفرد، ص٣٧٢؛ النسائي، السنن، ١٢٦/٩.

(٣) سورة النور، ٦١.

فعلتموه تحاببتم! أفشوا السلام بينكم"[1].

كذلك من آداب الوصية والتي تتحقق من خلالها العبودية الصادقة لله عز وجل هي الرضا بالرزق والنعمة وما تفضل به على عبده ، واحترام الجوار ومحبة الخير للآخرين فضلاً عن تجنب المحارم والضحك الكثير عن قصد أو من دون قصد فقد روى أبو هريرةﷺ أن النبيﷺ قال: "من يأخذ من أمتي خمس خصال فيعمل بهنّ ، أو يعلمهنّ من يعمل بهنّ؟ قال: قلت: أنا يا رسول الله ، قال: فأخذ بيدي فعدهنّ فيها ، ثم قال: اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب"[2].

كما نبه النبيﷺ المسلمين الى مخاطر الجلوس في الطرقات ، وتجنيب الأبناء ذلك التصرف الغير لائق حيث يكتسب الولد من خلال الطريق الألفاظ البذيئة الغير مقبولة اجتماعياً ، ويتعلم السلوكيات القبيحة والمنكرة ، ويتعرف ويرافق في الطريق السوقة وسفلة القوم. لذلك توجه بالوصية فقالﷺ: "إياكم والجلوس في الطرقات! قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا فقال: إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه ، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله ، قال: غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر"[3].

ولعل سمة الحلم والتأني وكظم الغيظ من الآداب الاجتماعية وهي من السمات التي شجع عليها الإسلام وقد حذر النبيﷺ من الغضب والانفعال وما يودي بالمسلم الى المشاكل والخصومة والقطيعة فقد روى أبو هريرةﷺ أن رجلاً قال للنبيﷺ: أوصني ، قال: لا تغضب! فردد مراراً قال: لا تغضب[4].

---

(١) ابن حنبل، المسند، ٢٠٣/٢ ؛ مسلم، الصحيح، ٧٤/١ ؛أبو داود، السنن، ٤٩٠/٧.

(٢) ابن حنبل، المسند، ١٦٧/٨ ؛ الترمذي، السنن، ٥٥١/٤ ؛ أبو يعلى، المسند، ١١٣/١١.

(٣) البخاري، الأدب المفرد، ص٦٤٤ ؛ مسلم، الصحيح، ١٦٧٥/٣ ؛ أبو يعلى، المسند، ٤٤١/٢.

(٤) البخاري، الصحيح، ٢٨/٨ ؛ الترمذي، السنن، ٣٧١/٤.

وأوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإحسان الى الأنصار فعن سهل بن سعد: أنه قال يا حجاج ألا تحفظ فينا وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: وما وصى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيكم ، قال: أوصى أن يحسن إلى محسن الأنصار ويعفى عن مسيئهم[1].

ثالثاً - البر بالوالدين:

ويتجلى لنا من وصايا النبيﷺ في هذا الجانب نحو البر بالوالدين لأنهما أساس وجود الولد وهما يبذلان من أجله عصارة قلبيهما في السهر على راحته ورعاية شؤونه والقيام بحقه حتى يكبر ، لذلك جاءت الوصية للولد بتسديد ذلك الدين الذي في رقبته لأبويه ، والإحسان إليهما ولاسيما عندما يكبران ويعجزان ، وهذه المعادلة من رحمة الله تعالى بالعباد ، حيث يكون الجزاء من جنس العمل لقوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيرًا)[2].

لذلك توجه النبيﷺ للأبناء بمراعاة حقوق الوالدين والقيام بها على أكمل وجه لأن في رضا الوالدين رضا الله ، وفي سخط الوالدين سخط الله عز وجل فقالﷺ: "بروا آباءكم تبركم أبناؤكم"[3].

ثم توجه النبيﷺ بالوصية للولد بخصوص الرعاية والاهتمام بالأم وحقها العظيم عليه الذي لا يمكن أن يوافيه أو يجازيه بكنوز الدنيا ، لما تكابده تلك الأم وتعانيه في حملها له بين أحشائها وأوجاعه ، وآلام الولادة ، ورضاعه ، وتربيته ، وغمره بالحب

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٦/٢٦٤.

(٢) سورة الإسراء، ٢٣ -٢٤.

(٣) الطبراني، المعجم الأوسط، ١/٢٩٩؛ الحاكم، المستدرك، ٤/١٧١؛ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٦/٣٣٥.

والحنان ، وكنفه بالدفء والأمان ، حتى يشب ويكبر ويعتمد على نفسه ، وهي لا تبدي تذمراً ولا تتأفف شاكية ، وسعادتها أن تراه صحيحاً معافى ، فقد سأل رجل النبيﷺ: "من أحق الناس مني بحسن صحابتي؟ قال: أمك! قال: ثم من؟ قال: ثم أمك! قال: ثم من؟ قال: ثم أمك! قال: ثم من؟ قال: أبوك"(١).

رابعاً - العدل بين الأبناء:

ومن الوصايا التي أشار بها النبيﷺ على الآباء للأبناء هو المساواة في المعاملة والعطية حتى لا يحصل بينهم الكره والعداوة وبذلك تنفك عرى المحبة فيما بينهم ، فتتشتت وتضعف الأسرة ، وتنقطع الرحم ويعم الظلم فيما بينهم لذلك قال النبيﷺ: "سووا بين أولادكم في العطية ، كما تحبون أن يسووا بينكم في البر"(٢).

روي عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: إن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلتُ ابني هذا غُلاماً كان لي ، فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا ، فقال رسول اللهﷺ فأرجعه ، فإني لا أشهد على جور(٣).

وقد أوصى النبيﷺ ضرورة العدل بين الأبناء لأنها من مقومات بقاء الأسرة واستمرارها بالعطاء ، وهي بدورها قوة للمجتمع ، من خلال استمرار الروابط الأخوية بينهم.

وراعى النبيﷺ حقوق الأيتام ومن هم قد فقدوا الحنان الأبوي والاهتمام الأسري ، ليحفظهم من الضياع والتشرد ، بجعل شيء من المال يعتمدون عليه عندما

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف، ٢١٨/٥؛ ابن حنبل، المسند، ٢٨٤/٨؛ البخاري، الصحيح، ٢/٨؛ مسلم، الصحيح، ١٩٧٤/٤.

(٢) الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ٨٦/٤؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٣٥٤/١١؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٣٢٤/١٢.

(٣) ابن حنبل، المسند، ٣٢١/٣٠؛ مسلم، الصحيح، ١٢٤٣/٣؛ النسائي، السنن، ٢٦٠/٦؛ ابن الأثير، جامع الأصول، ٦١٧/١١؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٤٦/١٦.

يكبرون ليكن عوناً لهم وليشقوا طريقهم بعيداً المسألة والحاجة الى الناس ، على ألا يقصر الأب في تفضيل أحد من الأبناء أو الأحفاد على الآخر ، بتفضيله بالثروة والمال أكثر من غيره أو التصدق بأكثر من الأمر المعقول ، وحتى يبعد الأولاد عن الحسد والأحقاد في المستقبل.

ويتجلى لنا ذلك في هذه الوصية فقد روي عن حنظلة بن حذيم[1] قال: سمعت جدي حنيفة وهو يحدث أبي وأعمامه وقال: يا بنيَّ إني رجل قد كبرت سني وأخشى أن يأتيني الكبر ولا أعقل الوصية ، وأن تعجلني الموت وإن أول ما أوصي به أن مائة من الإبل التي كنا نسميهن المطيبة في الجاهلية صدقة على يتيمي في حجريه يعني ابن ابنه فقال له حذيم: إن بنيك إذا مت لم يجيزوا وصيتك فقال له: بيني وبينك رسول اللهﷺ قال حذيم: قد رضيت. قال حنظلة: فركبنا وركب معي اليتيم فلما غشينا النبيﷺ حنيفة وعلى من معه فقال له النبيﷺ: "ما رفعك إلينا يا أبا حذيم؟ "فقال: هذا رفعني إليك -يعني حذيم- قال يا رسول الله إني قد كبرت وأخشى أن يأتيني الموت أو الكبر ولا أدري ما الوصية؟ فأوصيت في حياتي أن مائة من الإبل التي كنا نسميها في الجاهلية المطيبة صدقة على يتيمي هذا في حجريه فغضب رسول اللهﷺ ثم جثا على ركبتيه فقال: "إنما الصدقة خمس وإلا فعشر وإلا فخمسة عشر وإلا عشرون وإلا فخمس وعشرون وإلا فثلاثون وإلا فخمس وثلاثون فإن كثرت فأربعون" ، فبادره حنيفة فقال: أشهدك يا رسول الله إنها أربعون من التي كنا نسمي المطيبة في الجاهلية[2].

---

(١) هو أبو الذيال حنظلة بن حذيم بن حنيفة بن بجير بن بكر بن حي بن سعد بن ثعلبة بن زيد مناة بن تميم، ممن وفد إلى النبي ﷺ مع أبيه فأخذ ﷺ بيده ومسح برأسه وقال بارك الله فيك. له ولأبيه وجده صحبة ورواية. البخاري، التاريخ الكبير، ٣/٣٧؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٣/٢١٣٩؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ١/٧١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٧/٥٠؛ ابن حنبل، المسند، ٣٤/٢٦٢؛ البغوي، معجم الصحابة، ٢/ ١٨٦؛ أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، ٢/٨٥٧.

خامساً - الوصية في حفظ الصحة وتربية البدن:

كانت الدولة الإسلامية في عهد النبيﷺ دولة جهاد وفتوحات فتحتاج من الأبناء الى المثابرة والجدَّ في إتقان مبادئ القتال والفروسية حتى يكونون على أهبة الاستعداد للدفاع عن المحارم والقيم الإسلامية فضلاً عن نشر تعاليم الدين الإسلامي. لذلك أهتم النبيﷺ بذلك الجانب التعبوي والبدني في إعداد جيل قيادي بناء ، وقد كان من هدي النبيﷺ الإرشاد إلى تعليم الأبناء فأوصى الآباء فقال: "علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل"[1] ، وكل ذلك مما يمرن البدن على الحركة والخفة ويدفع عنه المرض وينشط من الكسل ، كما يعوده على الشجاعة والبسالة في مواجهة الأخطار.

وفي حديث آخر أوصى الآباء بما ينفع الأبناء في مستقبلهم وقابل حياتهم فقالﷺ:

عن أبي رافع قلت: "يا رسول اللَّه ، أللولد علينا حق كحقنا عليهم؟ قال: نعم ، حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي وأن يورّثه طيبًا"[2].

يقول الحكيم الترمذي: (الكتابة عون لَه على الدين والدنيا ، والسباحة منجاة من الهلاك ، والرماية دفع عن مهجته وحريمه وشرف له عند لقَائه العدو ولا يرزقه إلا طيبا لئلَا ينبت لحمه على سحت فتنزع منه البركَة وهذه الخصال هي رؤوس الآداب)[3].

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم"[4].

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ١٨٤/١؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٢٦/١٠؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٦٧/٤.

(٢) البيهقي، شعب الإيمان، ١٣٦/١١؛ السخاوي، المقاصد الحسنة، ٩٢/١؛ العجلوني، كشف الخفاء، ١٠٩/١.

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، ٢/ ٣٤٨.

(٤) ابن عبد ربة: العقد الفريد، ٧/٧.

سادساً - الوصايا التي تحث على ترك الخصال السيئة

لم يكن النبيﷺ يألوا جهداً أو يدخر وسعاً في الارتقاء بالمستوى الأخلاقي والتربوي للأبناء فكان يحثهم على الخصال الحميدة ويجنبهم الخصال القبيحة والسيئة كالحسد والغيبة والنميمة لأن من أكثر الأمور التي تمحق من الحسنات وتكثر في السيئات وتزيد من غضب رب الأرض والسموات وعلى سبيل المثال لا الحصر:

لقد أوصى النبيﷺ المسلمين بترك الحسد وما يفعل من عداوة وبغضاء بين الأخوة وما ينشره من البغي والظلم في بني الإنسان فيبعد قلوبهم يفرق جموعهم ويشتت شملهم ويضعف قوتهم ويجعلهم كالعصف المأكول لا يسمن ولا يغني من جوع فقال: "لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع أحدكم علي بيع أخيه ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، وأشار بيده إلى صدره ، ثلاث مرات ، حسبُ امرئٍ مسَلمٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمُه ، وماله ، وعرضه"[1].

وأكثر من تحذيره للأبناء من مخاطر الحسد وما فيه من تمني زوال نعمة الغير ، كما أنه لا يبقي للمرء من حسناته شيئاً فأوصاهم فقال: "إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" [2].

وأوصى أبناء المسلمين بتجنب الغيبة لأنها من أشد ما يعذب به الإنسان في الآخرة

قال: "أتدرون ما الغيبة؟ ، قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: ذكرك أخاك بما يكره ، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ ، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه"[3]. والبهتان أشد من الغيبة ، لأن فيها التهكم والطعن في أعراض الناس زوراً وبهتاناً.

---

(١) ابن حنبل، المسند، ٤٤٣/٧ ؛ مسلم، الصحيح، ١٩٨٦/٤ ؛ البزار، البحر الزخار، ٤٢٤/١٣.

(٢) أبو يعلى، المسند، ٣٣٠/٦ ؛ البيهقي، الآداب، ٤٧/١.

(٣) البخاري، الصحيح، ١٧/٨ ؛ أبو داود، السنن، ٤٢٤/١٣.

وقالﷺ يوصي الأبناء ويحذرهم من النميمة وآثارها الخطيرة في المجتمع: " لا يدخل الجنة قتات"[1] ، وقتات يعني نمام.

ويوصي النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها فقال: « إذا أنا مت فلا تخمشي وجهاً ولا ترخي عليّ شعراً ولا تنادي بالويل ولا تقيمي عليَّ نائحة»[2]

وهذا ابنُ عباس -رضي الله عنهما- مولاه عكرمة ، فقال: "فانظر السجع من الدعاء ، فاجتنبه ، فإني عهدتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب". رواه البخاري[3] ، قال عبد الله بن العباسﷺ: قال لي أبي: يا بُني ، إني أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار ، فأحفظ عني ثلاثاً: لا يجربن عليك كذباً ، ولا تغتب عنده مسلماً ، ولا تفشين له سراً ، قال: فقلت له: يا أبه ، كل واحدةٍ منها خير من ألف ، فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف[4].

وصاية أبي سفيان وزوجه هند بنت عتبة لابنهما معاوية حين عمل للخليفة عمر بن الخطابﷺ على ولاية الشام: "ولما قدم معاوية من الشام ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه هند ؛ فقالت له: يا بنيّ ، إنه قلما ولدت حرة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فأعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته. ثم دخل على أبيه أبي سفيان ؛ فقال له: يا بنيّ ، إنّ هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم وقصّر بنا تأخّرنا ، فصرنا أتباعا وصاروا قادة ؛ وقد قلّدوك جسيما من أمرهم ؛ فلا تخالفن أمرهم ، فإنك تجري إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفّست فيه. قال معاوية: فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ"[5].

---

(١) ابن ماجة، السنن، ١٢٥/١ ؛ الترمذي، السنن، ٣٢٩/٤.

(٢) الخراشي إعداد وجمع: سليمان بن صالح الخراشي ١٤٢٦هـ أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق، ص:٩

(٣) البخاري: الصحيح:(١١/ ١٣٨)

(٤) المبرد، الكامل، ٢١١/١.

(٥) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ١٤/١.

وأوصى أبو الأسود[1] ابنه فقال: "يا بُنيّ ، إذا جلست إلى قوم فلا تتكلم بما هو فوقك فيمقتوك ، ولا بما هو دونك فيزدروك. وإذا وسّع الله عليك فابسط يديك ، وإذا أمسك عليك فأمسك. ولا تجاود الله تعالى فان الله أجود منك[2].

وهذا عمير بن حبيب[3] وهو يوصي أبناءه أن يتجنبوا قرناء السوء لما لهم من أثر سلبي على أخلاقهم وسلوكياتهم ، وما يتركوه في حياتهم من أمراض نفسية وفكرية فقال: "يا بني إياكم و مخالطة السفهاء ؛ فإن مجالستهم داء ، وإن من يحلم عن السفيه يسر حلمه ، ومن يجبه يندم ، ومن لا يقر بقليل ما يأتي به السفيه ، يقر بالكثير. وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ؛ فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن بالثواب من الله عز وجل ، إنه من يوقن بالثواب من الله عز وجل لا يجد مس الأذى"[4].

ومن وصية لقمان لابنه ، واسمه ثاران قال: يا بني كن على حذر من اللئيم إذا أكرمته ، ومن الكريم إذا أهنته ، ومن العاقل إذا هجوته ، ومن الأحمق إذا مازحته ، ومن الجاهل إذا صاحبته ، ومن الفاجر إذا خاصمته ، وتمام المعروف تعجيله. يا بني ثلاثة أشياء تحسن بالإنسان: حسن المحضر ، واحتمال الإخوان ، وقلة الملل للصديق.

---

(١) هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يَعمر بن حُلَيْس بن نُفاثة بن عدي بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. روى عن كبار الصحابة، وقرأ القرآن على عثمان وعلي رضي الله عنهما، وهو أول من اسس العربية، ونهج سُبُلَها، ووضع قياسها ؛ وذلك حين اضطرب كلام العرب، وصار سَراة الناس ووجوههم يلحنون، فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف النصب والرفع والجر والجزم. شهد مع علي صفين، توفي سنة ٦١هـ. الإشبيلي، طبقات النحويين، ٢١/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧٣٥/٢ ؛ الهجراني، قلادة النحر، ٥٠٧/١.

(٢) الجاحظ، البخلاء، ٣٤/١ ؛ الآبي، نثر الدر، ٢٤٧/٦ ؛ الحصري، زهر الآداب، ٨٨٩/٣ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٤٢/٣.

(٣) هو أبو جعفر الخطمي، عمير بن حبيب بن حباشة بن جويبر بن عبيد بن عنان بن عامر الأنصاري، يقال: أنه ممن بايع تحت الشجرة، له صحبة. ابن سعد، الطبقات، ٤٢٧/٥ ؛ ابن حبان، الثقات، ٢٩٩/٣ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٧٧/٤.

(٤) القالي، الأمالي، ٥٧/٢ ؛ صفوت، جمهرة الخطب، ١٧١/١.

وأول الغضب جنون وآخره ندم. يا بني ثلاثة فيهم الرشد: مشاورة الناصح ، ومداراة العدو والحاسد ، والتحبب لكل أحد. يا بني المغرور من وثق بثلاثة أشياء: الذي يصدق ما لا يراه ، ويركن إلى من لا يثق به ، وأحسن الشاعر حين يقول:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب[1].

(١) التذكرة الحمدونية ٣٣٧/٣. وحياة الحيوان الكبري ٥٦/٢.

المبحث الثاني

الوصية في العصر الراشدي

تمهيد:

اتخذت الوصية خطاً بيانياً متوازياً في العصر الراشدي لم تختلف فيه عن عصر الرسالة جملة وتفصيلاً سواء في تعاليمها ومضمونها وأهدافها وغاياتها ، إذ ركزت في جميع جوانبها على العقيدة الصحيحة وأداء الصلاة والصدق والأمانة ومد يد العون للمحتاج وإقامة العدل ونصرة المظلوم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإشاعة المحبة والسلام والقيم الاجتماعية السليمة في المجتمع.

وكان الصحابة صورة حية وناطقة في تطبيق جميع ما أشار به النبيﷺ من تعاليم ومفاهيم ، وطرق وأساليب في تربية الأبناء وإعدادهم ليكونوا قادة وحملة رسالة لنشرها وتبلغيها الى العالم أجمع. وللتوقف على أبرز الوصايا في العصر الراشدي نوضحها فيما يلي:

أولاً - الوصايا التي تحث على التقوى وأركان الإسلام:

حرص الآباء على غرس بذرة الإيمان والتقوى في نفوس الأبناء فهما أكثر ما يسأل عنهما العبد ، فضلاً عن ذلك أن من تمتع بتلكما السمتين كان شخصاً محترماً ومحبوباً عند الجميع ، ونال الثقة وشارك الناس في أموالهم وأعمالهم.

إذ كتب عمر بن الخطابﷺ إلى ابنه عبد الله أيضاً يوصيه في غيبة غابها أن يكون ثابتاً في إيمانه ، مراقباً لحدود الله في دينه فقال: "أما بعد ، فإن من اتقى الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن اقترضه جزاه ، فاجعل التقوى

عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لانيّة له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا مال لمن لا رفق له ، ولا جديد لمن لا خلق له"[1].

فهذا عمر بن الخطابﷺ أوصى ابنه عبد الله بما أوجبه الله عليه من الفرائض ولاسيما فضل الصيام والصلاة والجهاد في سبيل الله فقال: "يا بُني عليك بخصال الإيمان ، قال: ما هي يا أبه؟ قال: الصوم في الصيف ، وضرب الأعداء بالسيف ، والتعجيل بالصلاة في يوم الغيم ، وإبلاغ الوضوء في الشَّات ، والصبر على المصيبات ، وترك ردغة الخبال ، قال: وما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر"[2].

وروى عبد الملك بن عمير[3] قال: أن رجلا من أهل الشام أوصى ابنه عند موته ، وذكر أنه بلغه أن معاذ بن جبل قال: "يا بُنيّ ، أظهروا اليأس مما عند الناس فإنه غنىً ، وإياكم وطلب الحاجات فإنه فقر حاضر ، وإياكم وما يعتذر منه من القول والفعل ، وإذا صلّيت يا بُنيّ فأسبغ الوضوء ، وصلِّ صلاة مودّع يرى أنه لن يئُوب إلى أهله ، فإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغدا خيراً منك اليوم فافعل"[4].

وروي عن سعيد بن أبي سعيد[5] قال ، لما طعن أبو عبيدة بن الجراحﷺ دعا من

---

(١) القالي، الأمالي، ٥٥/٢ ؛ الآبي، نثر الدر، ٢١/٢ ؛ الحصري، نثر الدر، ٧٢/١.

(٢) البيهقي، شعب الايمان، ٢٧٠/٤ ؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٢٤٤/١٦.

(٣) هو أبو عمر وقيل أبو عمرو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة بن أملاص بن شنيف بن عبد شمس بن سعد بن الوسيع بن الحارث بن يثيع بن أزدة بن حجر بن جزيلة بن لخم اللخمي الكوفي القبطي الفرسي؛ كان من كبار التابعين وثقاتهم، وصار اقضياً على الكوفة بعد شريح، رأى علي بن أبي طالبﷺ وروى عن جابر بن عبد الله، توفي سنة ١٣٦هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ١٦٤.

(٤) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص٥٢ ؛ أبو داود، الزهد، ٣١٢/١.

(٥) هو أبو سعد سعيد بن أبي سعيد المقبري مولى بني ليث روى عن سعد بن أبي وقاص وجبير بن مطعم وأبي شريح الكعبي وأبي هريرة. وأبي سعيد الخدري وابن عمر وعبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري وغيرهم، وكان سعيد بن أبي سعيد ثقة كثير الحديث. ولكنه كبر وبقي حتى اختلط قبل موته بأربع سنين.ابن سعد، الطبقات، ٣٤٣/٥ ؛ النووي، تهذيب الأسماء، ٢١٩/١ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥١٦/٥.

حضره من المسلمين ، فأوصاهم إذ قال: "إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير وبعدها تهلكوا ، أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا شهر رمضان ، وحجُّوا ، واعتمروا ، وتواصلوا ، وانصحوا لأمرائكم ، ولا تبغضوهم ، ولا تلهكم الدنيا ، فإن امرؤ لو عمرٍّ ألف حول ما كان له بدّ من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون ، إن الله قد كتب الموت على بني آدم ، فهم ميِّتون ، وأكيسهم أطوعهم لربه ، وأعلمهم ليوم معاده ، والسلام عليكم"[1].

وهذا الإمام عليعليه السلام جهد في غرس بذرة التقوى والإيمان في نفوس أبنائه وحرص على أن ينشئوا عليهما منذ نعومة أظفارهم وعلنا نجد ما أوصى به ولده الحسن خير مثال على ذلك فقال: "إني أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه هذا بتقوى الله ربَّكم ، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني سمعت حبيبي رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عام الصيام والصلاة ، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهونّ عليكم الحساب ، والله الله في الأيتام ، فلا تغيّرنّ أفواههم بحضرتكم ، والله ، الله في الضَّعيفَّين ، فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: أوصيكم بالضعيفين خيراً. والله ، الله في القرآن فلا يسبقكم بالعمل به غيركم ، والله ، الله في الصلاة ، فإنها عمود دينكم ، والله ، الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم عنكم ، والله الله في صيام رمضان فإن في صيامه جنَّة لكم من النار ، والله ، الله في الحج فإن بيت الله إذا خلا لم تناظروا ، والله ، الله في الفقراء والمساكين ، فشاركوهم في معايشكم وأموالكم. عليكم يا بنيّ بالبر والتواصل والتبار ، وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرق ، وتعاونوا على البّر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيَّكمصلى الله عليه وآله"[2].

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص٥٢ ؛ المبرد، التعازي والمراثي، ١٤١/١ ؛ صفوت، جمهرة الخطب، ٢٥٧/١.

(٢) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٥٠ -١٥١.

كما أوصى ابنه الحسين عليه السلام بتقوى الله ، ثم أردف تلك الوصية بوصاية أخلاقية وأدبية وإنسانية ليرتقي بروحه وسلوكه وتصرفاته ، فيكون محبوباً عند الله ، موقراً من قبل المسلمين فقال: "يا بُني ، أوصيك بتقوى الله- عز وجلّ- في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، والعدل في الصديق والعدو ، والعمل في النشاط والكسل ، والرضا عن الله تعالى في الشدة والرخاء! يا بُني ما شر بعده الجنة بشر ، ولا خير بعده النار بخير! وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية ، اعلم يا بُني: أن من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن رضي بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته! ومن سل سيف البغي قتل به. ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها ، ومن هتك حجاب غيره ، انكشفت عورات بيته ،ومن نسي خطيئته ، استعظم خطيئة غيره ، ومن كابد الأمور عطب ، ومن تكبّر على الناس زلّ ؛ ومن سفه على الناس شتم ؛ ومن خالط العلماء وقّر ، ومن خالط الأنذال حقر ؛ ومن أكثر من شيء عرف به ؛ والسعيد من وعظ بغيره ؛ وليس مع قطيعة الرحم تقيً ، ولا مع الفجور غنيً ؛ رأس العلم الرفق ، وآفته الخرق ؛ كثرة الزيارة تورث الملالة"[1].

وأوصى عبادة بن الصامت رضي الله عنه ولده بالإيمان بالقدر في خيره وشره ، لكونه من حسن الاعتقاد ، ويخلق الطمأنينة والرضا في الفؤاد ، روى عبادة بن الوليد بن عبادة ، قال: حدثني أبي قال: "دخلت على عبادة بن الصامت وهو مريض يتخيل فيه الموت- أو يتبين- فقلت: ياأبتاه ، أوصني واجتهد لي ، فقال: أجلسوني! فلما أجلسوه قال: يا بُني ، إنك لن تطعم طعم الإيمان ، ولن تبلغ حق حقيقة العلم حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت: يا أبتاه ، وكيف لي أعلم ما خير القدر من شره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بُني ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول ما خلق الله عز وجل القلم قال: اكتب ، فجرى

---

(١) الثعالبي، الاعجاز والإيجاز، ص٤٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ١٨٦/٨ ؛ الدميري، حياة الحيوان، ١٤٢/٢.

في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة ، يا بُني ، إن مت ولست على ذلك دخلت النار"[1].

ومن وصايا الصحابة التزام الجماعة وعدم التفرق فعن أبي مسعود أنه وصى من سأله -لما قتل عثمان-: عليك بالجماعة ، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ، وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم ، وقال قوم: المراد بهم أهل العلم ، لأن الله جعلهم حجة على الخلق ، والناس تبع لهم في أمر الدين[2].

ومن وصايا عمر الذي قال في وصيته التي وصى بها ابنه في آخر لحظة من عمره ، وقد استسلف مالا من بيت مال المسلمين: (بع فيها أموال عمر ، فإن وفت وإلا فسل بني عدي ، وإن وفت وإلا فسل قريشا ولا تعدهم)[3]

ثانياً - الوصايا التي تخص الجوانب الإدارية والاهتمام بالرعية:

أن أبا بكر -رضي الله عنه- وصى بالخلافة لعمر -رضي الله عنه- ، ووصى عمر -رضي الله عنه- إلى أهل الشورى ورضيت الصحابة بذلك لوم ينكروه ، وأيضاً فإن الأب لما ملك النظر في أمر أولاده الصغار بحياته ملك الوصية بأمرهم إلى من بعده إذا لم يكن لهم ولي في الشرع بعده وهو الجد ، فكذلك الإمام مثله[4]

---

(١) ابن حنبل، المسند، ٣٧/٣٧٨؛ الطبراني، مسند الشاميين، ٣/١٣٨؛ ابن بطة، الإبانة الكبرى، ٤/٥٣.

(٢) السهسواني محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي (المتوفى: ١٣٢٦هـ) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان الناشر: المطبعة السلفية – ومكتبتها، الطبعة: الثالثة ص: ٣٣٤.

(٣) إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ) التَّصَوُّفُ.. المنشَأ وَالمَصَادر الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ص: ١٤٩ طبقات ابن سعد ج٣ ص ٣٥٨.

(٤) العمراني أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٣/٨٢١.

كان الخليفة عمر بن الخطابﷺ حريصاً على تحقيق العدل والحرية والمساواة والرفاهية في الدولة الإسلامية ، فلم تكن الدولة أكثر استقراراً ، وأماناً ، وسلاماً ، وانتعاشاً ، إلا في عهده ، لذلك نراه لما دنت وفاته أراد أن يحافظ على بيضة الإسلام ، ووحدة المجتمع ، وسلامة أمنه وأمانه ، من خلال تلك الوصية التي وجهها الى الشخص الذي يخلفه في ولاية أمور المسلمين ، فدعا ولده عبد الله بن عمرﷺ فأوصاه وقال له: "أي بُنيّ ، إذا قام الخليفة بعدي فائته ، فقل له ، إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرئك السلام ، ويوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له ، ويوصيك بالمهاجرين والأنصار ، أن تقبل من محسنهم ، وتتجاوز عن مسيئهم ، ويوصيك بأهل الأمصار خيرا ، فإنهم غيظ العدوّ وجباة الفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، ويوصيك بأهل البادية خيرا ، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام ، أن تأخذ من حواشي أموالهم فيردَّ غلى فقرائهم ، ويوصيك بأهل الذمّة خيراً ، أن تقاتل من ورائهم ولا يكلَّفوا فوق طاقتهم"[1].

من وَصَايَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَبُو يُوسُف: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْد اللَّه الْهُذَلِيُّ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ رَجُلا قَالَ لعُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب: اتَّقِ اللَّهَ يَا عُمَرُ "وَأَكْثَرَ عَلَيْه" فَقَالَ لَهُ قَائلٌ: اسْكُتْ فَقَدْ أَكْثَرْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمنينَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: دَعْهُ ، لَا خَيْرَ فِيهِمْ إِنْ لَمْ يَقُولُوهَا لَنَا ، وَلا خَيْرَ فِينَا إِنْ لَمْ نَقْبَلْ. وَأَوْشَكَ أَنْ يَرُدَّ عَلَى قَائلهَا.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّه بْنُ أَبِي حُمَيْد عَنْ أَبِي الْمُلَيْح بْن أَبِي أُسَامَةَ الْهُذَلِيِّ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ حَقَّ النَّصيحَة بالْغَيْب وَالْمَعُونَة عَلَى الْخَيْر. أَيُّهَا الرِّعَاءُ إِنَّهُ لَيْسَ منْ حلْم أَحَبَّ إِلَى اللَّه وَلا أَعَمَّ نَفْعًا منْ حلْم إِمَام وَرِفْقه ، وَلَيْسَ منْ جَهْل أَبْغَضَ إِلَى اللَّه وَأَعَمَّ ضَرَرًا منْ جَهْل إِمَام وَخرَقه ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْ بِالْعَافِيَة فيمَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْه يُعْطَ الْعَافيَة منْ فَوْقه.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْد عَنْ عَامر قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ عَبَّاس: دخلت على عمر حِينَ طُعِنَ فَقُلْتُ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْلَمْتَ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ ،

---

(١) أبو حاتم السجستاني، المعمرون والوصايا، ص١٤٩ ؛ المبرد، التعازي والمراثي، ص١٣٦.

وَجَاهَدْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ ، وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي خِلافَتِكَ اثْنَانِ ، وَقُتِلْتَ شَهِيدًا ؛ فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ. فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ١ لِي لافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِنَا عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ الْكِلاعِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَهْلِكُ مَنْ سِوَاهُ ، الَّذِي بِطَاعَتِهِ يَنْتَفِعُ أَوْلِيَاؤُهُ ، وَبِمَعْصِيَتِهِ يُضَرُّ أَعْدَاؤُهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِهَالِكٍ هَلَكَ مَعْذِرَةٌ فِي تَعَمُّدِ ضَلالَةٍ حَسِبَهَا هُدًى ، وَلا فِي تَرْكِ حَقٍّ حَسِبَهُ ضَلالَةً ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَا تَعَهَّدَ الرَّاعِي مِنْ رَعِيَّتِهِ تَعَهُّدُهُمْ بِالَّذِي لِلَّهِ عَلَيْهِمْ فِي وَظَائِفِ دِينِهِمْ الَّذِي هَدَاهُمْ اللَّهُ لَهُ ؛ وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَأْمُرَكُمْ بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَأَنْ نَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَأَنْ نُقِيمَ أَمْرَ اللَّهِ فِي قَرِيبِ النَّاسِ وَبَعِيدِهِمْ وَلا نُبَالِي عَلَى مَنْ كَانَ الْحَقُّ.

أَلا وَإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ الصَّلاةَ وَجَعَلَ لَهَا شُرُوطًا ، فَمِنْ شُرُوطِهَا: الْوُضُوءُ وَالْخُشُوعُ وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ.

وَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الطَّمَعَ وَأَنَّ الْيَأْسَ غِنًى ، وَفِي الْعَزْلَةِ رَاحَةٌ مِنْ خُلَطَاءِ السُّوءِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْضَ عَنِ اللَّهِ فِيمَا أَكْرَهَ مِنْ قَضَائِهِ لَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهِ فِيمَا يُحِبُّ كُنْهَ شُكْرِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يُمِيتُونَ الْبَاطِلَ بِهَجْرِهِ وَيُحْيُونَ الْحَقَّ بِذِكْرِهِ رَغِبُوا فَرُغِبُوا وَرَهِبُوا فَرُهِبُوا ، أَنْ خَافُوا فَلا يَأْمَنُوا ، أَبْصَرُوا مِنَ الْيَقِينِ مَا لَمْ يُعَايِنُوا فَخَلَصُوا بِمَا لَمْ يُزَايِلُوا. أَخْلَصَهُمُ الْخَوْفُ فَهَجَرُوا مَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ لِمَا يَبْقَى عَلَيْهِمْ ، الْحَيَاةُ عَلَيْهِمْ نِعْمَةٌ وَالْمَوْتُ لَهُمْ كَرَامَةٌ.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنْ زُبَيْدٍ الأَيَامِيِّ٢ قَالَ: لَمَّا أَوْصَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أُوصِي الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِي بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأُوصِيهِ بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلُ٣ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الأَمْصَارِ ؛ فَإِنَّهُمْ

رِدْءُ الْإِسْلامِ وَغَيْظُ الْعَدُوِّ وَجُبَاةُ الْمَالِ ، أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلهمْ عَمَّنْ رَضِيَ مِنْهُمْ ، وَأُوصِيه بِالأَعْرَابِ ، فَإِنَّهُمْ أصل الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الْإِسْلامِ ، أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَوَاشِيَ أَمْوَالِهِمْ فَيَرُدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، وَأُوصِيه بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوَفِّيَ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَأَنْ يُقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَلا يُكَلِّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ".

قَالَ: وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ خَطِيبًا ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَبِيَّ الله صلى لله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَى أُمَرَاءِ الْأَمْصَارِ فَإِنِّي إِنَّمَا بعثتهم ليعملوا النَّاسَ دِينَهُمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُقَسِّمُوا فِيهِمْ فيأهم وَيَعْدِلُوا عَلَيْهِمْ ؛ فَمَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ رَفَعَهُ إِلَيَّ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أُبَالِي فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائمٍ خَيْرٌ لِي ، أَمْ أُقْبِلُ عَلَى نَفْسِي؟ فَقَالَ: أَمَّا مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَلا يَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائمٍ ، وَمَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيُقْبِلْ عَلَى نَفْسِهِ وَلْيَنْصَحْ لِوَلِيِّ أَمْرِهِ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُاللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَعْتَرِضْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ ، وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ ، وَاحْتَفِظْ مِنْ خَلِيلِكَ إلا الأَمِينَ فَإِنَّ الأَمِينَ مِنَ الْقَوْمِ لَا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ. وَلا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَيُعَلِّمُكَ مِنْ فُجُورِهِ. وَلا تُفْشِ إِلَيْهِ سِرَّكَ. وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ.

قَالَ: وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي مُوسَى: أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَسْعَدَ الرُّعَاةِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ سَعِدَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ ، وَإِنَّ أَشْقَى الرُّعَاةِ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَزِيغَ فَتَزِيغَ عُمَّالُكَ فَيَكُونُ مَثَلُكَ عِنْدَ اللَّهِ مَثَلُ الْبَهِيمَةِ نَظَرَتْ إِلَى خطرة مِنَ الأَرْضِ فَرَتَعَتْ فِيهَا تَبْتَغِي بِذَلِكَ السِّمَنَ ؛ وَإِنَّمَا حَتْفُهَا فِي سِمَنِهَا١. وَالسَّلامُ.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ إِلا رَجُلٌ لَا يُضَارِعَ ، وَلَا يُصَانِعُ ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ. وَلَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ إِلا رَجُلٌ لَا يَنْتَقِصُ غَرَبُهُ ، وَلَا يَكْظِمُ فِي الْحَقِّ عَلَى حزبه[1].

ثالثاً - الوصايا التي تحث على الجانب الخلقي

من الوصايا المهمة التي فيها من الآداب العظيمة والسجايا البديعة وهي رسالة الى الأبناء ليتربوا عليها ويتحلوا بها في المجالس هي عدم الضحك والمزاح في المجلس ، فقد أوصى الخليفة عمرﷺ الأحنف بن قيس فقال: "يا أحنف ، من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به"[2].

كما أوصى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رجلاً بضرورة تأديب الولد وهو صغير حتى يعرف معنى العقوبة إذا أساء ، وينبه على أي تصرف قبيح كيف لا يتكرر منه فقال: "أدب ابنك ؛ فإنك مسئول عن ولدك ماذا أدبته وماذا علمته؟ ، وإنه مسئول عن برك وطواعيته لك"[3].

وحضر رجلاً من الأنصار الموت فدعا ابنه فقال: يا بني ، إني موصيك بوصية إن لم تحفظها عني كنت خليقاً أن لا تحفظها عن غيري ، اتق الله ! وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس وغداً خيراً منك اليوم فافعل ، وإذا عثر عاثر من بني آدم فاحمد الله ألا تكونه ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وعليك باليأس فإنك لن تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه ، وإياك ما يعتذر منه فإنه لا يعتذر من خير وإذا

---

(١) ابو يوسف القاضي: الخراج ٢٢ -٢٤.

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط، ٣٧٠/٢؛ القضاعي، مسند الشهاب، ٢٣٧/١؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٢٦٤/١٦.

(٣) ابن المقفع، الأدب الصغير، ص١٠.

قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع وأنت لا ترى أنك تصلي بعدها أبداً.[1]

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوصي ولده بدرء الطمع والجشع عن نفسه ، وعليه أن يؤدبها بالقناعة لأنها راحة للبال والبدن ، ويكسب العبد فيها رضا الله والناس فقال: "يابنيّ ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها مال لا ينفد ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وعليك باليأس ، فإنك إن لم تيأس من شيء قط ، إلا أغناك الله عنه"[2].

وقال أكثم بن صيفي لابنه موصيه بخصلة القناعة وما فيها من العز والرضا فقال: يا بني ، من لم ييأس على ما فاته ودَّع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه[3].

وأحسن الشاعر حين يقول:[4]

إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها هماً يؤرقه

المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلا حين تنفقه

ومن الآباء من أوصى بنيه بالسعي في طلب المال والرزق الحلال ، فالمال يورث القوة والجاه ، ويكف عنهم الأذى والجفوة ، من قبل كل ذي سطوة وسلطان ، على أن لا يبخلوا ولا يمسكوا في الإنفاق والإطعام ، لأن قيمة المرء في كرمه وجوده ، فهذا يخلد لهم حسن السيرة بين الناس ، وأن يتواصوا بالقرابة والرحم ففيهم العز والمنعة ولذلك أوصى الأشعث بن قيس[5] بنيه فقال: "يا بنيَّ ، لا تذلوا في أعراضكم ،

---

(١) اليزيدي، الأمالي، ص١٤٢؛ ابن عبد ربة، العقد الفريد، ٩٨/٣؛ الآبي، نثر الدر، ٢٤٩/٦.

(٢) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ٤٩٧/٣؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٤٢/١؛ ابن عبد ربة، العقد الفريد، ١٥٥/٣؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٣٣/٣؛ الأبشيهي، المستطرف، ١٧٩/١.

(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ٢٦٥/٢.

(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٣٣١/٥؛ المستعصمي، الدر الفريد، ٣٩/٦؛ الأبشيهي، المستطرف، ٨٠/١.

(٥) هو أبو محمد أشعث بن قيس الكندي، وكان سيد كندة، له صحبة ورواية، نزيل الكوفة، وقد ارتد أيام الردة، فحوصر وأخذ الأمان له ولسبعين من قومه، وقد زوجه الخليفة أبو بكر رضي الله عنه من أخته فروة بنت أبي قحافة، شهد اليرموك وأصيبت عينه فيها، وكان على ميمنة الإمام علي يوم صفين، وقد استعمله معاوية على أذربيجان، وكان نبيلاً جواداً كريماً، وهو أول من مشت الرجال في خدمته وهو راكب، وتوفي سنة ٤٠هـ. وصلى عليه الإمام الحسن بن علي عليه السلام. ابن سعد، الطبقات، ٩٩/٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢/ ٣٤٤؛ الهجراني، قلادة النحر، ٣٢٢/١.

وانخدعوا في أموالكم ؛ فإن أباكم كذاك كان يفعل ، لتخفَّ بطونكم من أموال النَّاس ، وظهور كم من دمائهم ، فإن لكل أمر تبعة ، وإياكم وما يعتذر منه أو يستحي ؛ فإنما يعتذر من ذنب ، ويستحي من عيب ؛ وأصلحوا المال لجفوة السلطان ، وتغير الزمان ، وأجملوا في طلب الرزق ، حتى يوافق النجاح قدراً ، وكفوا عند أول مسألة ؛ فَإنه كفى بالود منعاً ، وامنعوا النساء من غير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت يتأسى بكم الكريم ، ويتشرف بكم اللئيم ، وكونوا في عوام النّاس ما لم يضطرب الحبل ، فَإذا اضطرب الحبل ، فالحقوا بعشائركم ، وعودوا بفضلكم على قومكم ، فإنه لم يزل رجل منكم يرجى عذره وتعمر يده"[1].

وأجاد الشاعر وهو يوصي بالقناعة في الرزق والقناعة باليسير وما قسمه الله للعبد الفقير فقال:[2]

اقنع برزق يسير أنت نائله ... واحذر ولا تتعرض للإرادات

فما صفا البحر إلا وهو منتقص ... ولا تكّدر إلا بالزيادات

وفي ذلك يقول الشاعر:[3]

إن الغنى عن لئام الناس مكرمة ... وعن كرامهم أدنى الى الكرم

وأوصى عبد الله بن شداد بن الهاد[4] ولده بعدم الاكتراث للحاسد لأن المنفعة والمضرة بيد الله عز وجل ، والحاسد قد خسر دنياه وآخرته ، لأنه تعدى وتجاوز على ما

---

(١) ابن عبد ربة: العقد الفريد، ٩٩/٣ ؛ الآبي: نثر الدر، ٢٥٤/٦.

(٢) الأبشيهي، المستطرف، ٨١/١ ؛ اليوسي، زهر الأكم، ٣٥٣/١.

(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٦٢٧/١.

(٤) هو أبو الوليد عبد الله بن شداد بن أسامة بن عمرو بن عبد الله بن جابر الليثي، ويعرف بعبد الله بن شداد بن الهاد، والهاد لقب لأسامة، وقيل: لعمرو؛ لأنه كان يوقد النار ليهتدي بها إليه الأضياف وغيرهم. أمه: سلمى بنت عميس الخثعمية أخت أسماء بنت عميس، وأخت أم الفضل زوجة العباس لأمها، وكن عشر أخوات، وكانت تحت حمزة، فولدت له بنته عمارة أو فاطمة، واستشهد عنها يوم أحد، فتزوجها شداد، فولدت له عبد الله في حياة رسول الله ﷺ ولم يدركه. وروى عن النبي ﷺ وسمع عمر وعلياً ومعاذاً وغيرهم من الصحابة، وروى عنه جماعة من كبار التابعين كطاووس والشعبي، واتفقوا على توثيقه، وكان فقيهاً كثير الحديث، قتل مع ابن الأشعث ليلة دجيل سنة ٨١هـ. ابن سعد، الطبقات، ١٧٨/٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٩٥٧/٢ ؛ الهجراني، قلادة النحر، ٤٦٥/١.

تفضل به الله على عباده من النعم فقال: "يا بُني ، إن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بشاهد ، فإنك إن أمضيتها صار جميع العيب على من قالها".[1]

رابعاً - الوصايا التي تحث الأبناء على الرياضة والحركة والثقافة

الجدير بالذكر أن العرب المسلمين لم يعرفوا التكاسل والخمول ، وإنما نشأوا على الحركة والنشاط ، وحب العمل والبناء والعمران ، والإبداع في مجال المطالعة والتأليف ، والنظم والتوليف ، فأكسبوا العالم حضارة عظيمة أطلت بوارف ظلها على العالم أجمع وكان شعارهم في: "الحركة البركة ، والطراوة سفتجة"[2]. وقيل: تعلموا أن: "الحركة بركة والتواني هلكة ، والكسل شؤم والأمل زاد العجز. وكلب طائف خير من أسد رابض ، ومن لم يحترف لم يعتلف"[3]. وعرفوا أيضاً بأن: "الحركة بركة ، والاغتراب داعية الاكتساب ، فامتطي غارب الأمل إلى الغربة ، واركب ركوب التطواف مع كل صحبة ، فمن لم يرث له دهره الخؤون ولا رق له زمانه المفتون.

إن الليالي والأيام لو سئلت عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا[4]

لذلك عودوا أبناءهم منذ الصغر على محبة الرياضة وممارسة الأنشطة الرياضية التي تقوي الجسد كالهرولة والرماية والضرب بالسيف والسباحة وركوب الخيل ، وهذا ما نلمسه من وصية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قال: "علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً ، ورووهم ما يجمل من الشعر. وفي حديث آخر: وخير الخلق للمرأة المغزل[5].

وقال عمر رضي الله عنه وهو يحث الأبناء على محبة العمل واحتراف المهن والسعي في طلب الرزق: "حرفة يعاش بها ، خير من مسألة الناس"[6].

---

(١) الثعالبي، الشكوى والعتاب، ٨٣/١؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٣٧٦/٣.
(٢) الحريري، المقامات، ٥٤٠/١.
(٣) الثعالبي، الشكوى والعتاب، ص١٢٢؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٤٢/٣.
(٤) الدلجي، الفلاكة والمفلوكون، ص ٩٣.
(٥) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ٢١١/١؛ الآبي: نثر الدر، ٢٦/٢.
(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ٥٤/٢.

وقال أيضاً وهو يوصي أبناء المسلمين بترك الطاقة السلبية ورفد النفس بالعزيمة والمضاء ، وتعويدها على النشاط والحركة: "لا تصغرنّ همكم ، فإني لم أر شيئاً أقعد بالرجل من سقوط همته"[1].

كما أوصى الولاة على تربية الأبناء على الرياضة لأنها قوة للبدن فقال: "علموا غلمانكم العوم ، ومقاتلتكم الرمي"[2].

خامساً - الوصايا التي تخص آداب المائدة:

غالباً ما نجد الآباء ينهون أبناءهم عن العادات السيئة ولعل في مقدمتها الإسراف في الطعام والشراب ، لأنها تميت القلوب ، وتجعل المرء كالبهيمة لا يفكر إلا في بطنه وشهواته ، فضلاً عن جلب السقم والمرض الى البدن ، وتعوده على الكسل والبلادة. فقد حذر الإمام علي عليه السلام أبناء الأمة من بلية الشبع والجشع فقال: (البِطنة تذهب الفطنة)[3].

وقال أحد الحكماء لولده: "إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة"[4].

فهذا عبد الله بن شداد قد أوصى ابنه محمداً فقال: "يا بني ، إنّي أرى الموت لا يقلع ، ومن مضى فليس يرجع ، ومن بقي فإليه يسرع ، وإنّي أوصيك بوصيّة فأحفظها: عليك بتقوى الله ، وليكن أول الأمور بك ، شكر الله وحسن النية في السر والعلانية ، فإن الشكور يزداد والتقوى خير زاد. وكن كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ... ولكنّ التقيّ هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخراً ... وعند الله للأتقى مزيد

وما لا بدّ أن يأتي قريبٌ ... ولكنّ الذي يمضي بعيد

---

(١) الآبي، نثر الدر، ٢١/٢ .؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٨/٢.

(٢) ابن حنبل، المسند، ٢٠٢/١.

(٣) الأبشيهي، المستطرف، ١/ ١٨٩.

(٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٧٢٨/١.

ثم قال: أي بنيّ ، لا تزهدنّ في معروف ، فإن الدهر ذو صروف ، والأيام ذات نوائب عَلَى الشاهد والغائب ، فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه ، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه ، واعلم أن الزمان ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان يرى الهوان ، وكن أي بنيّ كما قال أَبو الأسود الدؤلي:

وعدّ من الرحمن فضلاً ونعمةً ... عليك إذا ما جاء للعرف طالب

وإن امرأً لا يرتجى الخير عنده ... يكن هيناً ثقلاً على من يصاحب

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالباً ... فإنك لا تدري متى أنت راغب

رأيت التوى هذا الزمان بأهله ... وبينهم فيه تكون النوائب

ثم قَالَ: أي بني ، كن جواداً بالمال فِي موضع الحق ، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق ، فإن أحمد جود المرء الإنفاق فِي وجه البر ، وإن أحمد بخل الحرّ الضن بمكتوم السر ، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري:

أجود بمكنون التلاد وإنني ... بسرك عمن سالني لضنين

إذا جاوز الإثنين سرٌ فإنه ... بنثٌ وتكثير الحديث قمين

وعندي له يوما إذا ما ائتمنتني ... مكانٌ بسوداء الفؤاد مكين[1].

وقال إسماعيل بن عبيد الله: لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه ، فقال لهم: يا بنيَّ عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن ، فتعاهدوه ، وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ، ثم سئل عنه أقرّ به ، والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن[2].

وقال محمود الوراق:-

الصدق منجاة لأصحابه ... وقربة تدني من الرب[3]

---

(١) القالي، الأمالي، ٢٠٢/٢؛ الهاشمي، جواهر الأدب، ١٨٤/١؛ صفوت، جمهرة الخطب، ٥٠٣/٢.

(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٨٧/٩؛ الأبشيهي، المستطرف، ١٧٩/١.

(٣) المستعصمي، الدر الفريد، ١١٦/٤؛ الأبشيهي، المستطرف، ٢٥٧/١.

الفصل الرابع

الوصايا في العصر الأموي

أولاً: الوصايا التي تحذر الأبناء من الشبع والبطنة

ثانيا: الوصايا في الحياء

ثالثا: الوصايا عند الموت

رابعا: وصايا النساء:

خامسا: وصايا الدعاء والأذكار:

تمهيد

لما اتسعت الدولة الأموية وضمت إليها أقاليم عديدة من المشرق والمغرب ، تسربت لها عادات كثيرة وثقافات مختلفة من سكان تلك البلاد وحصل ما يعرف بالامتزاج الثقافي والحضاري ، لذلك احتاج الأمويون ورعاياهم من المسلمين وغير المسلمين ، في تلك الفترة أن يقسروا أبناءهم على آداب وأخلاق الإسلام لما فيها من السمو الإنساني ، والرقي الاجتماعي والكمال التربوي ، حتى لا تفسد أخلاقهم ، ولا تتبدل طبائعهم ، ولا تتأثر عاداتهم ، بما يشاهدوه أو يسمعوه أو يقرءوه ، ولعل أدب المجالس وحقوق الجلساء كان في مقدمتها ، فهذا الإمام زين العابدين يوصي أبناءه بمراعاة الجليس وضمان حقوقه فقال: "وأما حق الجليس ، فأن تلين له كَنفُك ، وتطيب له جانبك ، وتنصفه في مجاراة اللفظ ، ولا تغرق في نزع اللّحظ إذا لحظت ، وتقصد في اللفظ إلى إفهامه إذا لفظت ، وإن كنت الجليس إليه ، كنت في القيام عنه بالخيار ، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ، ولا تقوم إلاّ بإذنه"[1].

وهذا سعيد بن العاص يوضح ما للجليس من حق على جليسه فيقول: "حق الجليس عليَّ ثلاثة: إذا دنا رحبت به ، وإذا حدّث أصغيت إليه ، وإذا جلس أوسعت له"[2].

وقال أبو الأسود الدؤلي لابنه يوصيه بأدب المجلس فقال: يا بُنيّ إذا كنت في قوم فلا تتكلّم بكلام من لم يبلغه سنّك فيستثقلوك ، ولا بكلام من هو دونك فيستحقروك[3].

---

(١) الحراني، تحف العقول، ص١٨٩ ؛ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٤٠٩.

(٢) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ٢/٢٥٠ ؛ ابن مفلح، الآداب الشرعية، ٢/١٦٨.

(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١/٨٥.

وهنا يوصي الأب ولده في التحفظ بالكلام بالمجلس ، وألا يتكلم إلا إذا طلب منه ، كما عليه التثبت من كلامه ، وأن يكون جوابه على علم ودراية حتى لا يتنقصه جليسه أو يبغضه.

وعن المهلب بن أبي صفرة أنه قال لابنه عبد الملك: "يا بني إنما كانت وصية رسول اللهﷺ عدات أنفذها أبو بكر الصديقﷺ فلا تبدأ بالعدة فإن مخرجها سهل ومصدرها وعر واعلم أن لا وإن قبحت فربما روحت ولم توجب الطمع"[1].

وقال ابن هبيرة[2] وهو يؤدب بعض ولده ويوصيه بحسن الاستماع في المجلس: "لا تكوننّ أول مشير ، وإيّاك والرأي الفطير ، وتجنّب ارتجال الكلام ، لا تشر على مستبد ولا على وغد ولا على متلوّن ولا على لحوح ، وخف الله في موافقة هوى المستشير ، فانّ التماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة"[3].

وقال بعض الحكماء لابنه يوصيه بحسن الاستماع حتى يكون أقدر على الفهم والتعلم: "يا بنيّ ، تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث ؛ وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول ؛ فاحذر أن تسرع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل ، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل[4].

ومن وصايا معروف الكرخي: قَالَ رَجُلٌ لِمَعْرُوف رَحِمَهُ اللَّهُ: أَوْصِنِي؟ قَالَ: "تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، حَتَّى يَكُونَ جَلِيسَكَ وَأَنِيسَكَ وَمَوْضِعَ شَكْوَاكَ ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ

---

(١) السخاوي، التماس السعد، ص٩٢.

(٢) هو أبو المثنى عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري، ولي العراقين، ليزيد بن عبد الملك، وكان فيه شدة وقسوة، توفي سنة ١٠٧هـ. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٣٠ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٦٢/٤.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٣٠/٢ ؛ ابن عبد ربة، العقد الفريدج، ٥٩/١ ؛ الأفطسي، المجموع اللفيف، ص٣٩٢.

(٤) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص٤٧ ؛ ابن عبد ربة، العقد الفريد، ٢٦٤/٢ ؛ شيخو، مجاني الأدب، ٥٠/٢.

الْمَوْت ، حَتَّى لَا يَكُونُ لَكَ جَلِيسٌ غَيْرَهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الشِّفَاءَ لِمَا نَزَلَ بِكَ كِتْمَانُهُ ، وَأَنَّ النَّاسَ لَا يَنْفَعُونَكَ ، وَلَا يَضُرُّونَكَ ، وَلَا يُعْطُونَكَ ، وَلَا يَمْنَعُونَكَ[1].

أولاً - الوصايا التي تحذر الأبناء من الشبع والبطنة

ولعل آداب المائدة في مقدمتها. وحضر أبو بكرة سفرة معاوية ، ومعه ولده عبد الرحمن ، فرآه يلتقم لقما شديداً ؛ فلما كان بالعشي راح إليه أبو بكرة ، فقال له معاوية: ما فعل أبنك التلقامة –أي النهم– ؟ قال:اعتل ، قال: مثله لا يعدم العلة![2].

قال المغيرة بن شعبة: "علّموا أولادكم الخفاف واحملوهم على الطوى ، لأن من اتبع أمراً لزمه ، ومن أكثر من تركه أجمه"[3].

قال مسلمة بن عبد الملك لملك الروم: ما تعدّون الأحمق فيكم؟ قال: الذي يملأ بطنه من كل ما وجد[4].

مِنْ وَصَايَا يَحْيَى بْنَ مُعَاذ الرَّازِيَّ ، يَقُولُ: "لِيَكُنْ بَيْتُكَ الْخَلْوَةَ ، وَطَعَامُكَ الْجُوعَ ، وحَدِيثُكَ الْمُنَاجَاةَ ، فَإِمَّا أَنْ تَمُوتَ بِدَائِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَصِلَ إِلَى دَوَائِكَ[5].

ثانيا - الوصايا في الحياء

يوصف الحياء بأنه من الأخلاق الإسلامية الحميدة ، التي تضفي على الشخصية الجمال واللطف لذلك دأب الأمويون على الإكثار من الوصايا التي تحثهم على هذه الخصلة الكريمة فهذا عمرو بن عتبة[6] قال: لما بلغت خمس عشرة سنة قال

---

(١) الخطيب البغدادي: الزهد والرقائق ص: ٨٦.

(٢) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ١١/٨.

(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٧٢٩/١.

(٤) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ١١/٨.

(٥) الخطيب البغدادي: الزهد والرقائق ص: ٥٨.

(٦) هو عمرو بن عتبة بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سفيان القرشي الأموي كان من رجالات قريش وقدم على عمه معاوية بن أبي سفيان وسمع منه ومن جماعة من الصحابة وسكن البصرة وفد على يزيد بن معاوية وعلى عبد الملك بن مروان حكى عنه ابنه سفيان. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٧٢/٤٦.

لي أبي: "يا بني ؛ قد تقطعت عنك شرائع الصّبا فالزم الحياء تكن من أهله ، ولا تزايله- أي تتخلى عنه- فتبين منه ؛ ولا يغرّنك من اغتر بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ؛ فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رضي ، قال فيك من الشر مثله إذا سخط ، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من غبّ عواقبهم"[1].

وهذا عبد الملك بن مروان يوصي أبناءه بصفة الحياء وتجنب الشدة مع الناس ، ولتكن السماحة تملأ قلوبهم ، والسخاء ظاهر على أيديهم ، والعفو شيمتهم فقال: "كفّوا الأذى ، وابذلوا المعروف ، وأعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سُئلتم ، ولا تلحفوا إذا سألتم ؛ فإنه من ضيّق ضيّق عليه ، ومن أعطى أخلف الله عليه"[2].

وعن هذا الخلق العظيم أوصى الأشعث بن قيس[3] بنيه فقال: "يا بنيّ ، لا تذلّوا في أعراضكم ، وانخدعوا في أموالكم ؛ ولتخفّ بطونكم من أموال الناس ، وظهوركم من دمائهم ، فإنّ لكل امرئٍ تبعة -أي وزر- ؛ وإياكم وما يعتذر منه أو يستحى ؛ فإنما يعتذر من ذنب ، ويستحي من عيب ؛ وأصلحوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان ، وكفوا عند الحاجة عن المسألة ؛ فإنه كفى بالردّ منعاً ؛ وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدراً ؛ وامنعوا النساء من غير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت يتأسّى بكم الكريم ،

---

(١) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ٩٩/٣ ؛ النهرواني، الجليس الصالح، ص٣٠٦.

(٢) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ٩٩/٣ ؛ النهرواني، الجليس الصالح، ص٣٠٦.

(٣) هو أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي نسبة إلى كندة لقب ثور بن عفير، لقّب بذلك لأنه كند أباه النعمة؛ أي: كفرها. وفد الأشعث إلى النبي ﷺ سنة عشر في ستين راكبا من كندة، فأسلموا ورجعوا إلى حضرموت من اليمن، ثم ارتد الأشعث بعد النبي ﷺ فيمن ارتد، فبعث أبو بكر ﷺ الجنود إلى اليمن وحضرموت، فأسروه فأحضروه بين يديه، فأسلم وقال: استبقني لحربك وزوجني أختك، فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة، وشهد الأشعث اليرموك بالشام، ثم القادسية بالعراق، والمدائن وجلولاء ونهاوند، واستعمله عثمان على أذربيجان، وسكن الكوفة، وشهد مع علي رضي الله عنه صفين، وشهد الحكمين بدومة الجندل، وتزوج الحسن بن علي رضي الله عنهما ابنته. وتوفي بالكوفة سنة ٤٢هـ. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١١٦/٩ ؛ الهجراني، قلادة النحر، ٣٢٢/١.

ويتشرف بكم اللئيم ، وكونوا في عوام الناس ما لم يضطرب الحبل ، فإذا اضطرب الحبل فالحقوا بعشائركم"[1].

وقال خالد بن صفوان لابنه: "يا بني ، خلتان إن أنت حفظتهما لم تبال ما ضيعت بعد: دينك لمعادك ، ودنياك لمعاشك"[2].

ثالثا: الوصايا عند الموت

وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه:أوصى الحسن رضي الله عنه أن يغسله ولا يغالي في الكفن ، فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «لا تغلو في الكفن فإنه يسلب سلبًا سريعًا». وامشوا بي بين المشيتين ، لا تسرعوا بي ، ولا تبطئوا ، فإن كان خيرًا عجلتموني إليه ، وإن كان شرًا ألقيتموني عن أكتافكم.

وعن الشعبي قال: لما حضر عبد الله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال: يا عبد الله بن مسعود! إني أوصيك بخمس خصال فاحفظهن عني: أظهر اليأس للناس ، فإن ذلك غنىً فاضل ، ودع مطلب الحاجات إلى الناس ، فإن(ذلك) فقر حاضر ، ودع ما تعذر منه من الأمور ، ولا تعمل به ، وإن استطعت أن لا يأتي عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس فافعل ، فإذا صليت صلاة فصل مودع كأنك لا تصلى بعدها. قال بعضهم:

شعرًا:...

أَلا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ تَدْنُو مَنِيَّتِي ... أُلازِمُ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلِّ لَحْظَةِ

وَآخِرُ رَمْقٍ مِنْ حَيَاتِي خِتَامُهُ ... بِكَلِمَةِ إِخْلاصٍ لِبَارِي الْبَرِيَّةِ

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده بيدي الخرقة لأشد بها لحييه فجعل يعرق ، ثم يفتح عينيه ، ويقول بيده هكذا: لا بعد ففعل هذا مرة وثانية ، فلما كان في الثالثة ، قلت له: يا أبة أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت تعرق حتى تقول قد قبضت ، ثم تعود فنقول لا لا بعد فقال لي: يا بني

---

(١) ابن عبد ربة، العقد الفريد، ٩٩/٣ ؛ النهرواني، الجليس الصالح، ص٣٠٦.

(٢) الراغب الأصفهاني محاضرات الأدباء، ٥٧٤/١ ؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٩٨/٥.

ما تدري؟ قلت: لا ، قال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاض على أنامله يقول لي: أحمد فُتَّنِي ، فأقول له: لا بعد حتى أموت.... أ. هـ

وصية ذي الإصبع العدواني: لما احتضر ذو الإصبع ، دعا ابنه أسيدا فقال له: يا بني ، إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته ، فاحفظ عني: الي جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، وأعز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ ؛ فإن لك أجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك ، ثم أنشأ يقول:

أأسيد إن مالا ملكـ ... ـت فسر به سيرا جميلا
آخ الكرام إن استطعـ ... ـت إلى إخائهم سبيلا
واشرب بكأسهم وإن ... شربوا به السم الثميلا
أهن اللئام ولا تكن ... لإخائهم جملا ذلولا
إن الكرام إذا تؤا ... خيهم وجدت لهم فضولا
ودع الذي يعد العشير ... ة أن يسيل ولن يسيلا
ابني إن المال لا ... يبكي إذا فقد البخيلا
أأسيد إن أزمعت من ... بلد إلى بلد رحيلا[1].
فاحفظ وإن شحط المزا ... ر أخا أخيك أو الزميلا
واركب بنفسك إن همـ ... ـت بها الحزونة والسهولا
وصل الكرام وكن لمن ... ترجو مودته وصولا[2].

(١) بلوغ الأرب ط ١٩٢٤: ٣٢٧١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني دار الكتب ٩٩/٣ -١٠٠.

ومن أمثلة الوصايا الحجازية: وصية أوس بن حارثة لابنه مالك ، وقد رواها صاحب الأمالي ، وهي مشهورة [1].

رابعا: وصايا النساء:

وقد ذكرت لنا كتب الأدب أن امرأة توصي ابنتها فتقول: انزعي زجّ رمحه فإن سكت فكسري العظام على ترسه فإن سكت فقطعي اللحم بسيفه فإن سكت فامتطيه فإنما هو حمارك فإذا ما فسح الزوج للزوجة المجال في التطاول والجرأة امتد الأمر إلى ما لا تحمد عقباه[2].

وكان الشافعي رضي الله عنه يقول ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك ، المرأة والخادم والنبطي. وكان نساء العرب يعلمن أولادهن اختبار أزواجهن. كانت المرأة إن أنكحت ابنتها قال: يا بنية ، اختبري حليلك قبل أن تقدمي عليه ، انزعي زج رمحه فإن سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه ، فإن أقرّ فكسّري العظام بسيفه ، فإن صبر فاجعلي الأكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمار[3]..

وأوصى أسماء بن خارجة الفزاري ، وكان من حكماء العرب ، ابنته ليلة زفافها فقال: يا بنية ، قد كانت والدتك أحق بتأديبك مني لو كانت باقية ، وأما الآن فإني أحق بتأديبك من غيري افهمي عني ما أقول: إنك قد خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت إلى فراش لا تعرفينه وقرين لم تألفيه ، كوني له أرضًا يكون لك سماء وكوني له مهادًا يكون لك عمادًا فكوني له أمة يكون لك عبدًا ، لا تلحفي به فيقلاك ولا تتباعدي عنه فينساك ، إذا دنى فاقربي منه وإن نأى فابعدي عنه ، واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، لا يشم منك إلاّ طيباً ولا يسمع إلاّ حسنًا ولا ينظر

---

(١) القالي الأمالي ط دار الكتب ١٠٢٢/١

(٢) الشحود علي بن نايف: دائرة معارف الأسرة المسلمة ٢١٤/٦٨ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ٤٢١)

(٣) الشحود علي بن نايف: دائرة معارف الأسرة المسلمة ٢١٤/٦٨. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ٤٢١)

إلاّ جميلاً وأنا الذي أقول لأمك ليلة ينائي بها:

خذي العفة مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدفّ مرة ... فإنك لا تدرين ماذا المغيب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب[1].

وأوصى بعض العرب بنيه فقال: لا تنكحوا من النساء ستة ، أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة ، تفسير ذلك الأنانة وهي التي تعصب رأسها كثيرًا وتكثير الأنين والتوجع والتشكي والمنانة التي تمن على زوجها تقول: فعلت بك وفعلت فأنا أفعل وأفعل والحنانة تكون على وجهين ، تكون ذات ولد من غيره فهي تحن إليه وقد تكون ذات زوج قبله فيحن قلبها إليه. وقوله حداقة هي التي تومئ بحدقتها فتشتري كل شيئ وتطالب زوجها بما تشتهيه من كل شيئ ، وقد تلحظ الرجال كثيرًا كما يلاحظ بعض الرجال النساء ، والبراقة تحتمل تأويلين ، أحدهما أنّ تكون غضوبًا في الطعام فتبرق لقلته أو لسوء خلقها ولا تكاد البراقة للمأكول أن تأكل إلاّ وحدها لشرهها ، وتكون أيضاً تستقل نصيبها من كل شيئ وهذه لغة يمانية نعرفها فأشبه عندهم يقال: قد برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عليه ، والوجه الثاني من البراقة أنّ تكون من البريق أنّ تكثر صقال وجهها. وخضابه في بروقه أبدًا ، وأما الشداقة فهي التي تشدق بكثرة الكلام وتكون ذربة اللسان مفوّهة في النطق[2]..

عن الإمام علي عليه السلام: في وصيته لأبنه الحسن قال: إياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن. واكفف أبصارهن بالحجاب ، فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب. وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن. وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل. ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة. ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها فيما لغيرها. وإياك والتغاير في غير موضع الغيرة ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم ،

---

(١) الشحود علي بن نايف: دائرة معارف الأسرة المسلمة ٢١٤/٦٨.

(٢) الشحود علي بن نايف: دائرة معارف الأسرة المسلمة ٢١٤/٦٨.

والبريئة إلى الريب[1].

وقال رجل لأبيه تزوجت امرأة سيئة الخلق فقال: عجّل طلاقها فإنها تهرمك قبل الهرم ، وتذهب عنك بجماع الكرم[2].

وروي أن حكيماً زوج ثلاث بنين ، فلما كان رأس الحول سأل الأول عن امرأته فقال: هي امرأة من خير النساء إلا أنها خرقاء لا تعمل شيئاً ! فقال: أنزلها في بني فلان فإن نساءهم صناع لتتعلّم. وسأل الثاني فقال: إنها لا تدفع يد لامس! فقال: أنزلها في بني فلان فإن نساءهم عفيفات. وسأل الثالث فقال: سيئة الخلق ، فقال: طلقها فهذا شيء لا حيلة له[3].

واجتهد بعض الآباء في إبرام الوصايا للأبناء فيما يخص حياتهم الصحية والنفسية حرصاً على سلامتهم ، وزيادة في سعادتهم قيل: لما حضرت الحارث بن كلدة[4] الوفاة قيل له: أوصنا بما ننتفع به بعدك ، فقال: لا تتزوجوا من النساء إلا الشوابّ ، ولا تأكلوا من اللحم إلا الفتيّ ، ولا من الفاكهة إلا ما نضج ، ولا يتداوينّ أحدكم بدواء ما احتمل بدنه الداء ، وإذا تغدّيتم فناموا قليلاً ، وإذا تعشيتم فامشوا خطوات"[5].

وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما توصي بناتها بالصدقة وأعمال البر فقالت: يا بناتي تصدقن ولا تنتظرن الفضل فإنكن إن انتظرتن الفضل لن تجدنه ، وإن تصدقتن لم تجدن فقده[6].

---

(١) الزمخشري: ربيع الأبرار، ٢٤١/٥.

(٢) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٢٤٠/٢.

(٣) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٢٤٠/٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ابن عساكر: أعلام النساء، ص٢٩.

خامسا: وصايا الدعاء والأذكار:

من وصايا الشيخ الكبير أبوز الحجاج يوسف عبد الرحيم الأقصري قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه ، مما وصى به أبو الحجاج يوسف االأقصري خواصه وأصدقاءه قال: إذا أدركتكم الضرورة والفاقة فقولوا حسبي الله ربي فالله يعلم أنه في ضيق[1].

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق للبلوي ص: ٨٩

الفصل الخامس

الوصايا في العصر العباسي

أولا: الوصايا التي تركز على الأخلاق الحميدة

ثانيا: الوصايا في الجانب العلمي والفكري

ثالثاً - الوصية في الجانب العسكري

رابعا: الوصايا بالامتناع عن البدع وأهلها

تمهيد

شهدت الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي تطوراً عظيماً وتقدماً كبيراً على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والعمراني ، واتسعت الدولة فضمت بلدان كثيرة من أرمينا شمالاً ، وكينيا جنوباً ، والصين شرقاً ، وأوربا غرباً ، وازدهرت التجارة الخارجية وانتعشت الحياة الاقتصادية للمسلمين وتغيرت أحوالهم المعاشية شيئاً فشيئاً ، بفضل البضائع والمنتوجات التي تدخل البلاد الإسلامية ، فعرف المسلمون حياة الدعة والترف ، وسكنوا الدور الفارهة والقصور الضخمة لذلك تنوعت مصادر الثقافة عند المسلمين ، لا سيما بعد حركة الترجمة ، التي نقلت من تراث الأمم المجاورة الشيء الكثير في الأفكار والعادات والتقاليد ، وكان الآباء في العصر العباسي يشتاقون الى آداب الإسلام وتعاليمه الغراء في تربية الأبناء لا سيما وأنها تحاكي الفطرة السليمة وعمادها الخلق والأدب ، وأخذوا يكثرون من الوصايا التي تحث على تلك المثل الراقية ، وشجعت العامة أبناءها على التعلم والاستزادة في طلب العلم بالانخراط الى الكتاتيب والمدارس ، أما الأغنياء والموسرين فطلبوا لهم المؤدبين والمعلمين من أجل الاكتساب عنهم القيم التربوية الثرية والمبادئ الأخلاقية السامية. وللتعرف على أبرز تلك الوصايا نوضحها فيما يأتي:

أولا : الوصايا التي تركز على الأخلاق الحميدة :

كانت مسألة الأخلاق وما زالت هي أبرز ما يربي الوالد ولده عليها ، فهي أشرف من المال والجاه ، وأفضل من الحسب والنسب ، والأخلاق زينة للولد في صغره ، وسمة عظيمة للرجل في كبره ، رفعت البسطاء ، الى مجالس الكبراء ، وقدمت

الفقراء ، على أشرف الأغنياء ، لذلك أسرع الآباء بالوصايا التربوية والأخلاقية ليكتسب الأبناء هذا الشرف العظيم وكما قال الشاعر:[1]

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من قال ها أنذا ليس الفتي من يقول كان أبي

فهذا عبد الله بن الحسن[2] يوصي ولده بتبني القيم الخلقية الكريمة ، فهي خير زاد يتزود به المرء في حياته فقال:" أي بنيّ ، إني مؤد إليك حق الله في تأديبك ، فأد إلي حق الله في حسن الاستماع. أي بني ، كفّ الأذى ، وارفض البذا ، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول ، فإن للقول ساعات يضرّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب. واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً ، يوشك أن يورّطاك بمشورتهما ، فيسبق إليك مكر العاقل ، وغرارة الجاهل"[3].

وهذا الإمام جعفر الصادق عليه السلام يوصي ابنه موسى الكاظم عليه السلام بالحياء لأنه من خلق الأنبياء ، ويأخذ بيده الى المجد والعلياء ، من خلال غرس بذرة التعاليم السمحاء في نفسه ، وسكب زلال المحاجة البيضاء الى روحه فيقول: "يا بني أحفظ وصيتي تعش سعيداً ، وتمت شهيداً ، يا بني إن من قنع بما قسم له استغنى ، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيرا ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره. يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قتل

---

(١) الأبشيهي، المستطرف، ٣١/١؛ شيجو، مجاني الأدب، ٢١/١؛ الهاشمي، جواهر الأدب، ٤٥٧/٢.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان يعرف بالمحض لنسبه النقي من السيدة فاطمة عليها السلام، قبض عليه المنصور وأودعه السجن فمات فيه سنة ١٤٤هـ. الذهبي، العبر، ١٠٤/١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٢١٣/١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢١٥/١.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢٧٠/١؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٣٣/٣؛ صفوت، جمهرة الخطب، ٣٩/٣.

به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم. يا بني قل الحق لك أو عليك ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال. يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه"[1].

وكتب سفيان الثوري إلى عبّاد بن عباد يوصيه: أما بعد فانّك في زمان كان أصحاب رسول اللهﷺ يتعوّذون أن يدركوه في ما بلغنا ، ولهم من العزم ما ليس لنا ولا لك ، ولهم من العمل ما ليس لنا ولا لك. فكيف بنا وقد أدركناه على قلّة علم وبصر ، وقلّة أعوان على الخير ، وكدر من الدنيا ، وفساد من الناس؟ فعليك بالعزلة وقلة مخالطتهم فان عمر يقول: إياكم والطمع فانه فقر حاضر ، وإن اليأس غنى ، وفي العزلة راحة من خليط السّوء. وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة. وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك ، والنجاة في تركهم فيما ترى. وإياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء. وإياك أن تخدع فيقال: ذلك رجل تشفع فيه تردّه عن مظلوم أو تردّه عن مظلمة ، وإنما ذلك خديعة إبليس اتّخذها فخا. وكان يقال: اتقوا فتنة العابد وفتنة العالم فان فيهما فتنة لكلّ أحد. وإياك أن تكون ممن يحبّ أن يعمل بقوله أو يسمع من قوله ، فإذا لم تزل كذلك فقد عرفت. وإياك وحبّ الرياسة ، فان الرجل تكون الرياسة أحبّ إليه من الذهب والفضة ، وهذا باب غامض لا يبصره إلّا البصير من العلماء. واعمل بنية فان الحسن رحمه الله كان يقول: رحم الله عبدا وقف عند همّه ، فانه ما من عبد يعمل حتى يهمّ ، فان كان له مضى ، وإن كان عليه أمسك ، فان النيّة ليست كلّ ساعة تقع. وان طاووس قيل له: ادع لنا بدعوات فقال: ما أجد الآن لذلك نيّة. وكان حذيفة رضي الله عنه يقول: يأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بمثل دعاء الغريق[2].

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣٩٢/١؛ الدميري، حياة الحيوان، ١٤٢/٢.

(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية ٣/ ٣٣٥.

إنَّ يعرب وصى بنيه قبل موته وقال: "يا بني منى حصلا عشرا وتكن لكم شرفا وذكرا وذخرا. يا بني تعلموا العلم وأعلموا به واتركوا الحسد ولا تلتفتوا إليه فانه داعيه إلى القطيعة فيما بينهم واجتنبوا الشر وأهله فإن الشر لا يجلب عليكم إلاّ الشر وأنصفوا الناس من أنفسكم وإياكم والكبر فإنه يبعد قلوب الرجال. وعليكم بالتواضع فإنه يقربكم إلى الناس ويحبكم إليهم واحفظوا الجار واصفحوا عن المسئ فإنَّ الصفح عن المسئ يحسم العداوة ويزيد مع السؤدد سؤددا ومع الفضل فضلا. وآثر الجار والدخيل على أنفسكم فإن جماله جمالكم ولأن تسوء حالة أحدكم خير له من أنْ تسوء حالة جاره ولأن يفقد الناس المقتدى أكثر من أنْ يفقدهم المقتدى وانصروا المولى في السلم والحرب وفانه منكم ولكم وآثروا المولى من أنفسكم وحقه عليكم مثل حق أحدكم على سائركم وإذا استشاركم مستشير فأشيروا عليه بمثل ما تشيرون على أنفسكم فإنّها أمانة ألقاها في أعناقكم وأمانة ما قد علمتم وتمسكوا باصطناع الرجال تسودوا به غيركم فإن ذلكم يزيدكم شرفا وفخرا إلى آخر الدهر" وأنشأ يقول:

نعرفكم بما وصى أبوكم ... بما وصاه قحطان بن هود
فوصاكم بما وصى أباه ... أبو أبيه عن الجدود
أذيعوا العلم ثم تعلموا ... فما ذو العلم كالكل البليد
ولا تصغوا إلى جبل فتغووا ... غواية كل محتمل حسود
وذو دوا الشر عنكم ما استطعتم ... فليس الشر من خلق الرشيد
وكونوا منصفين لكل دان ... لنصفكم من القاضي البعيد
عليكم بالتواضع لا تزيدوا ... على فضل التواضع من مزيد
فإنَّ الصفح أفضل ما ابتغيتم ... به شرفا مع الملك العتيد
وحق الجار لا تنسوه فيكم ... فإن الجار ذو حق أكيد
عليكم باصطناع الخير حتى ... تنالوا كل مكرمة وجود[1]

(١) خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة /نشوان الحميري ص: ٩ .

وصى زهير بن أيمن بن الهميسع ابنه عريب فقال "يا بني أوصيك بتقوى الله ، فآثره على من سواه. وأعظك مع جميع حمير بمصارع ثمود نصب أعينكم ، وسماع آذانكم ، فما أجيب لها نداء ، ولا قبل منها فداء ولا ملكوا قبلها حذرا ، ولا اعتلقوا لمّا فاجأهم وزرا. بل أصبح بينهم ما اوعدوا به فهل تسمع لهم خبراً ، أو تنظر لهم أثراً؟ ثم أوصيك أنّ تعمل لدنياك بسنة آبائك ، فقد انتهى إليك ما كان من وصية آبائك ووصية جدك سبأ بن يشجب ، وما افترق عليه أبناؤه يوم الوصية والقسمة ، وما جداك حمير وكهلان ، فلا تجرين الأمور إلاّ على ما جرتبه الرسوم من عصرهما ذلك إلى هذه الغاية ووص بذلك من صار ذلك الأمر من ولدك أو بني عمك. وأوصيك بالاستقامة على ما وجدتني عليه من العدل على الرعية والتجاوز عن المسيء ، والكف عن أذى العشيرة ، والتحفظ بها ، والتحبب إليها ، فما المرء إلاّ بقومه ولو عز وعلا ؛ ثم أنسأ يقول:

عريب لا تنس ما وصى أبوك به ... إنَّ الوصية لمّا يعدها الرشد

كل امرئ عزه فاعلم عشيرته ... وفي العشيرة يكن العز والعدد

أما رأيت ثموداً أمس كيف لقوا ... سوء النكال وعاداً قبلها انجردوا

من بعد ما ملؤا سهل البلاد فلم ... ينفعهم عدد منهم ولا جلد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به محمد بن ادريس الشافعي ح قال شيخ الاسلام اخبرنا ابو منصور محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن سهل بن خليفة بن الصياح البلدي قال حدثني جدي محمد بن الحسن بن سهل بن خليفة حدثنا ابو علي الحسين بن هشام ابن عمر البلدي قال هذه وصية محمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه:

اوصي انه يشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبد ورسوله وانه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين احد من رسله

(١) خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة /نشوان الحميري ص: ٩.

وان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وان الله يبعث من في القبور وان الجنة حق وان النار حق وان عذاب القبر والحساب والميزان والصراط حق وان الله يجزي العباد بأعمالهم عليه احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله واشهد ان الايمان قول وعمل ومعرفة بالقلب يزيد وينقص وان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وان الله عز و جل يرى في الاخرة ينظر اليه المؤمنين عيانا جهارا ويسمعون كلامه وانه فوق العرش وان القدر خيره وشره من الله عز و جل لا يكون الا ما اراد الله عز و جل وقضاه وقدره وان خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب رضوان الله تعالى عنهم اجمعين واتولاهم واستغفر لهم ولأهل الجمل وصفين القاتلين والمقتولين وجميع اصحاب النبي صلى الله عليه و سلم اجمعين والسمع والطاعه لأولي الأمر ما داموا يصلون والولاة لا يخرج عليهم بالسيف والخلافة في قريش وان قليل ما اسكر كثيره خمر والمتعة حرام وأوصي بتقوى الله عز و جل ولزوم السنة والآثار عن رسول الله صلى الله عليه و سلم واصحابه وترك البدع والأهواء واجتنابها واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فإنها وصية الأولين والآخرين وان من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب واتقوا الله ما استطعتم وعليكم بالجمعة والجماعة ولزوم السنة والإيمان والتفقه في الدين ومن حضرني منكم فليلقني شهادة ان لااله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتعاهدوا والأظفار والشارب قبل الوفاة ان شاء الله واذا حضرت فإن كان عندي حائض فلتقم وليدخنوا عند فراشي[1]

وقال في وصيته التي وصى بها ابنه في آخر لحظة من عمره ، وقد استسلف مالا من بيت مال المسلمين: (بع فيها أموال عمر ، فإن وفت وإلا فسل بني عدي ، وإن وفت وإلا فسل قريشا و لا تعدهم)[2]

عن محمد بن سرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله -لما قتل عثمان-:

---

(١) اثبات صفة العلو ص:١٢٣.

(٢) التَّصَوُّف.. المنْشَأ وَالمَصَادِر - إحسان إلهي ظهير ص: ١٥٠.

عليك بالجماعة ، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة[1] ، ومن وصية أردشير لابنه: "إن الملك والدين أخوان ، لا غنى لأحدهما عن الآخر ، فالدين أس ، والملك حارس. وما لم يكن له أس ؛ فهو مهدوم. وما لم يكن له حارس ؛ فضائع !. يابني ؛ اجعل حديثك مع أهل المراتب ، وعطيتك لأهل الجهاد ، وبشرك لأهل الدين ، وسرك لمن عناه ما عناك ، ولتكن من أهل العقل ، وكان يقال: الدين والسلطان توأمان[2].

عن عطاء بن أبي رباح قال سألت ابن عبادة بن الصامت كيف كانت وصية أبيك حين حضرة الموت قال: جعل يقول يا بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله ولن تبلغ العلم حتى تعبد الله وحده وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت: يا ابتي كيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشره قالا: تعلم أن ما أصابك لم يكن لخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك فإن مت على غير هذا دخلت النار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب فجرى تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد[3].

وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَالَ: كَانَ فِي وَصِيَّةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: بسم الله الرحمن الرحيم. هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو الدَّرْدَاءِ ، أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، وَأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ ، عَلَى ذَلِكَ يَحْيَا وَيَمُوتُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَوْصَى فِيمَا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، بِكَذَا وَكَذَا[4].

---

(١) طبقات ابن سعد ج٣ ص ٣٥٨.

(٢) اختصار المفاكهة ص: ٣

(٣) المصدر السابق: ٣/ ٦١٥؛ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لأبي القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني سننة الولادة ٤٥٧هـ/ سنة الوفاة ٥٣٥هـ تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي/دار الراية سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م/السعودية / الرياض: ٢٤٤/١ ح٩٢ والشريعة للآجري١/ ٤٨٩ ح٤٤٤

(٤) المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين /جمع وإعداد/الباحث في القرآن والسنة/علي بن نايف الشحود ص:١٠٢.

ثانيا: الوصايا في الجانب العلمي والفكري:

من الجدير بالذكر أن العلم شرف للإنسان ، وفخر له في جميع الأزمان ، وهو المال الذي لا يفنى ، والخير الذي لا يبلى ، وهو العز الذي لا ينتهي جديده ، والشرف الذي لا ينقص مزيده ، وقدره كريم ، وأثره عظيم ، وفضله جسيم.

وقد زخرت كتب التاريخ والتراجم والأدب بالوصايا والمواعظ التي يشجع فيها الآباء أبناءهم على اقتناء العلم وتعلمه والرحلة في طلبه ، والاستزادة منه ، لأنه ميراث الأنبياء ، وتحفة النظراء ، وروضة العقلاء ، فالعلماء هم الذين يهدون الناس الى الخير والصلاح ، ويجددون الحياة بالتفاؤل والنجاح ، ويضيئون الدنيا بنور عقولهم ، ومصابيح فكرهم ، وعصارة جهدهم ، وذخيرة تجاربهم ، وهم الخالدون على مدى الزمان بسيرتهم ومؤلفاتهم وتصانيفهم ، وأحسن الإمام علي عليه السلام لما يقول:[1]

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاءُ

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

وإن أتيت بجود في ذوي نسب ... فإن نسبتنا جود وعلياءُ

ففز بعلم تعش حياً به أبداً ... الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

من المؤكد أن كل شيء يحصل فيه الاكتفاء إلا في العلم فهما اغترفت من بحوره لم تبلغ منه إلا القليل ، فهذا رجل يوصي ابنه بالاستزادة من العلم فقد روي: أن رجلا وابنه سلكا طريقاً لم يسلكاه من قبل فقال الرجل لابنه: يا بُني ابحث لنا عن الطريق فقال له: إني عالم ، فقال: يا بُني علمان خير من علم واحد ، أي إضافة علم إلى علمك خير من استقلالك بعلمك[2].

---

(١) شيخو، مجاني الأدب، ١٣١/٣ ؛ الهاشمي، جواهر الأدب، ٤٥١/٢.

(٢) التفتازاني، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، ٢/ ٦٨٦.

ثالثاً - الوصية في الجانب العسكري:

وصية (أبي بكر الصديق) خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقادة جيوش الفتح حيث جاء فيها (لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا إمرأة ولا تقطعوا شجراً ولا تحرقوه ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم بالصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم إليه[1].

ومن وصايا الخليفة الثاني عمر: ((.... أوصي بأهل الذمة خيراً أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفوا فوق طاقاتهم.....))[2].

ومن كلام لعليعليه السلام لابنه محمد بن الحنفية يوصيه بالثبات وشدة البأس مع الأعداء لما أعطاه الراية يوم الجمل فقال: "تزول الجبال ولا تزل ، عض على ناجذك ، أعر الله جمجمتك ، وتد في الأرض قدمك ، ارم ببصرك أقصى القوم ، وغض بصرك ، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه"[3].

فكان من أقوال خليفته أبي بكر رضي الله عنه لبعض قواده: ((..أنتم سوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...))[4].

ومن وصايا الخليفة الثاني عمر: ((.... أوصي بأهل الذمة خيراً أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفوا فوق طاقاتهم.....))[5].

ومن أقوال علي الخليفة الرابع: ((....من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا.....)) [6].

---

(١) بابا الفاتيكان في الميزان

(٢) المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين /جمع وإعداد/الباحث في القرآن والسنة/علي بن نايف الشحود ص:٣٣٩.

(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١٠٢/٤.

(٤) الشحود: علي بن نايف: المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين ص: ٣٣٩.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

رابعا: الوصايا بالامتناع عن البدع وأهلها:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يَأتي أناس يُجادلونكُم بشُبُهات القرآن؛ خُذوهُم بالسنَنِ؛ فإن أصْحابَ السّنَنِ أعْلَمُ بكتاب الله)[1].

وعن عبد الله بن عمر؛ أنه قال لمن سأله عن المنكرين للقدر: (إذا لَقيتَ أولئك؛ فأخْبِرْهُم أن ابنَ عُمرَ مِنْهُم بَريءٌ، وهُم مِنْهُ بُرآء؛ ثلاث مرات)[2].

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (لا تُجالسْ أهلَ الأهواء؛ فإن مُجالَستَهُم ممرضَة للقَلْب)[3].

وقال العالم الزاهد الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: (صاحبُ بدعَة لا تَأمَنْه عَلى دينكَ، ولاَ تُشَاورهُ في أمْرِكَ، ولاَ تجلس إليه، ومَنْ جَلَسَ إلى صاحبِ بدعة أوْرَثَهُ اللهُ العَمَى) يعني في قلبه [4].

وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى: (أبى اللهُ تبَاركَ وتَعالى أنْ يأذَنَ لصَاحب هَوى بتَوبة[5].

وقال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: (اللَّهُمَ لاَ تَجْعَلْ لِصَاحبِ بِدْعَة عِنْدي يَدا؛ فَيُحبه قَلْبي)[6].

وقال أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري رحمه الله: (مَنْ أصغى سَمْعَهُ إلَى صَاحب بِدْعَة وهُو يَعْلَمُ أنهُ صاحبُ بِدْعَةٍ ؛ نُزِعَتْ مِنْهُ العِصْمَةُ، ووُكِل إلَى نَفْسه[7].

---

(١) الأثري: عبد الله بن عبد الحميد: الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ/الطبعة: الأولى/الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية/تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ: ص:١٤٨ وهوعزاه إلى اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

نَفْسه[1].

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: (لاَ تُمكنوا صاحِبَ بِدْعَةٍ مِنْ جَدَلٍ ؛ فَيورثَ قُلوبَكُم مِنْ فِتْنَتِه ارْتيابا)[2].

وقال محمد بن سيرين -رحمه الله- محذرا من البدع: (مَا أَحْدَثَ رَجُل بِدْعَة) ؛ فَراجَع سُنة)[3].

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى: (لا تُنْكِحُوا أَهلَ البِدَعِ وَلا يُنْكَحُ إِلَيْهِم وَلا يُسلّم عَلَيْهِم)[4].

وعن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أنهُ رأى قوما يتكلمون في شيء من الكلام ؛ فصاح ، وقال: (إما أَنْ تُجاورونا بِخَيْر ، وَإِمَا أَنْ تَقُوموا عنا)[5].

وقال إمام أهل السُّنَة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (إِن أَهلَ البدَعِ والأَهْواء ؛ لاَ يَنْبَغي أَنْ يُسْتَعانَ بِهِم في شَيء مِنْ أمورِ الْمُسْلمِيَنَ ؛ فإن في ذَلكَ أَعْظَم الضرر علَى الدين)[6].

وقال: (احذر البِدَعَ كُلَها ، ولاَ تُشاور أَحَدا مِنْ أَهلِ البِدَعِ في دينك)[7].

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدى رحمه الله تعالى: (إنه لَيْسَ في أَصْحاب الأَهْواء شَر مِنْ أَصْحابِ جَهم ؛ يُريدون عَلى أَنْ يَقُولوا: لَيسَ في السَماءِ شَيء: أَرى وَاللهِ أَلَّا يُنَاكَحُوا ، وَلاَ يُوَارثُوا)[8].

وقال أبو قلابة البصري رحمه الله تعالى: (لاَ تُجالسوا أَهلَ الأَهْواء ؛ فَإِنكم إن لَمْ

---

(١) المصدر نفسه، وعزاه لعبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة.

(٢) المصدر نفسه، وعزاه لابن بطة في الإبانة.

(٣) المصدر نفسه، وعزاه للالكائي في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

(٤) المصدر نفسه، وعزاه للشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث.

(٥) المصدر نفسه، وعزاه للإمام البغوي في شرح السنة.

(٦) المصدر نفسه، وعزاه للإمام البغوي في شرح السنة.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

تَدّخلوا فيما دَخَلوا فيه لبسوا عَلَيْكُم مَا تَعْرِفون)[1].

وقال أيوب السختياني رحمه الله تعالى: (إنَّ أهلَ الأَهْواءِ أهلُ ضلالة وَلاَ أرى مَصيرهم إلا النار)[2].

وقال أبو يوسف القاضي رحمه الله تعالى: (لا أصلي ؛ خَلْفَ جَهميّ ، ولا رَافِضِي ، وَلاَ قَدَري)[3].

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني رحمه الله: (وعَلاماتُ أهلِ البدَعِ عَلى أهلها بادية ظاهرة ، وأظهرُ آياتهم وعَلاماتهم شدَةُ مُعاداتهم لحمَلة أخبار النبيِّ-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- واحتقارهم لهُم ، وتَسميتهم حَشويَّة ، وجَهلة ، وظاهرية ، ومُشبهة ؛ اعتقادا منهُم في أخبار رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنَّها بمعزل عن العلم ، وأن العلم ما يُلقيهِ الشيطانُ إليهِم من نتائجِ عُقولهم الفاسدة ، ووساوس صُدورهم المُظلمَة)[4].

وقد بينَ الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- حكم أهل البدع والأهواء ، في قوله: (حُكْمي في أصْحابِ الكَلامِ أنْ يُضرَبوا بالجريد ، ويُحْمَلوا عَلَى الإبلِ ، ويُطاف بهم في العشائرِ والقَبائلِ ؛ ويقال هذا جَزاءُ مَنْ تَرَكَ الكتابَ والسنة ، وأخَذَ في الكَلام[5].

وقال أبو محمد الحسين بن مسعود ابن الفرَّاء البغوي: (قَدْ مَضىَ الصحابةُ والتابعونَ وأتْباعُهم وعُلماءُ السُّنَة عَلَى معُاداة أهلِ البِدَعِ ومُهاجَرَتهم)[6].

وقال مُعاذ بن جبل رضي الله عنه: (أيها النَّاس عَليكُم بالعِلْم قَبْلَ أنْ يُرْفَعَ ، ألا

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، وعزاه للإمام البغوي في شرح السنة.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، وعزاه الصابوني أبي عثمان في عقيدة السلف أصحاب الحديث.

(٥) المصدر نفسه، وعزاه للإمام البغوي في شرح السنة.

(٦) المصدر نفسه، وعزاه للإمام البغوي في شرح السنة.

وإِن رَفْعَهُ ذهابُ أَهْلِه ، وَإِياكُمْ وَالبِدَع والتبَدع والتنطع ، وَعَليكُم بأَمْرِكُم العَتيق)[1].

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (كلّ عبادة لم يَتَعبدْ بها أَصْحابُ رَسُولِ اللهِ–صلى الله عليه وآله وسلم– فلاَ تَتَعبَّدوا بها ؛ فإِن الأَوَّلَ لَمْ يَدع للآخِرِ مَقالا ؛ فاتَّقوا اللهَ يا مَعْشَرَ القرَّاء ، خُذوا طَريقَ مَنْ كان قَبلكُم)[2].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (مَنْ كان مُسْتنّا فَلْيَسْتن بمَنْ قَدْ مَاتَ أولئكَ أَصْحابُ مُحمد –صلى الله عليه وسلم– كانوا خَيرَ هذه الأمَّة ، وأَبَرها قُلوبا وأَعْمقَها علْما ، وأَقلّها تَكلفا ، قَوم اخْتارَهُمُ اللهُ لصُحْبَة نَبيه–صلى الله عليه وسلم– ونَقلِ دينه فَتَشبَّهوا بأَخْلاقِهِم وطَرائقِهم ؛ فَهُمْ كانوا عَلَى الهَدْي الْمستقيم)[3].

من وصايا ابن مسعود– رضي الله عنه– قوله لرجلٍ قال له: أوصني بكلمات جوامع ، فكان ممَّا أوصاهُ به أن قال: ومن أتاك بحقٍّ فاقبلْ منه وإن كان بعيداً بغيضاً ، ومن أتاك بالباطلِ فاردُدْه وإن كان قريباً حبيباً[4].

---

(١) المصدر نفسه، وعزاه لابن وضاح في البدع والنهي عنها.

(٢) المصدر نفسه، وعزاه لابن بطة في الإبانة.

(٣) الأثري عبدالله بن عبدالحميد في الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة ص:١٤٨ -١٦١، و موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم١٥٧/٢.

(٤) ابن حزم في الأحكام في أصول الحكام ٤/ ٥٨٦، والخرندار: محمود في كتاب فقه الاختلاف ص: ٩٨.

الخاتمة

في مسيرة حافلة مع الوصايا التي وصى بها الصالحون من الأنبياء والرسل وغيرهم من كان لهم الأثر في تسديد وصاياهم لخلق الإنسان وإرشاده إلى الخير والعمل بوجوهه الكثيرة فقد ظهرت بض النتائج التي يمكن إيجازها هنا وهي:

١- كان للوصايا الأثر الجيد في تسديد خلق الإنسان مهما كان دينه او عمله او مذهبه.

٢- العمل على تصحيح الأخطاء التي قد يقع فيها الإنسان.

٣- حفظ الإنسان هذه الوصايا في عقله ووجدانه ليستفيد منها مستقبلا.

٤- تربية النشء الجديد على الفضيلة.

٥- التقيد بما هو الأصلح للإنسان والابتعاد عما يشينه.

المؤلفان

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

١. الآبي، منصور بن الحسين الرازي (ت ٤٢١هـ): نثر الدر في المحاضرات، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٤م.

٢. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ): المؤتلف والمختلف، تحقيق د. ف. كرنكو، ط١، دار الجيل –بيروت ١٩٩١م.

٣. الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، ط١، عالم الكتب –بيروت ١٤١٩م.

٤. الأثري: عبد الله بن عبد الحميد: الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ/الطبعة: الأولى/الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية/تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ.

٥. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت ٦٣٠هـ): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٤م.

٦. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري (ت ٦٣٠هـ): اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر – بيروت د.ت.

٧. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول، ط١، مكتبة الحلواني – القاهرة ١٩٧١م.

٨. ابن إسحق، محمد بن إسحق بن يسار المطلبي(ت ١٥١هـ): السير والمغازي، تحقيق د. سهيل زكار، ط١، دار الفكر – بيروت ١٩٧٨م.

٩. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت٢٠٠١م.

١٠. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ): الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع – القاهرة د.ت.

١١. ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ): السير والمغازي، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر – بيروت ١٩٧٨م.

١٢. ابن ابي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ، المصنف في الاحاديث والآثار، ضبطه وعلق عليه الاستاذ سعيد اللحام وراجعه وصححه وضبطه: مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر دار الفكر د. ت.
١٣. الأشعري، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٠٠هـ): التعريف بالأنساب، ط١. القاهرة د.ت.
١٤. ابن ماجه: وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله / الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٥. أبو داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي / سنة الولادة ٢٠٢/ سنة الوفاة ٢٧٥هـ / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / الناشر دار الفكر، د. ت.
١٦. أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي/ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد / تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي / دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥م / الطبعة: الثانية.
١٧. التيمي الأصبهاني: لأبي القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني سننة الولادة ٤٥٧هـ/ سنة الوفاة ٥٣٥هـ / الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة / تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي/دار الراية سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م/السعودية / الرياض.
١٨. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة – مصر ١٩٧٤م.
١٩. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ): الطب النبوي، تحقيق مصطفى خضر، دار ابن حزم – بيروت ٢٠٠٦م.
٢٠. الأفطسي، أبو جعفر محمد بن محمد (ت ٥١٥هـ): المجموع اللفيف، ط١، دار الغرب الاسلامي – بيروت ١٤٢٥هـ.
٢١. الأنباري، كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار –عمان ١٩٨٥م.
٢٢. الباقلاني: أبو بكر الباقلاني المالكي محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، (المتوفى: ٤٠٣هـ) في تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٤٧٢/١.
٢٣. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ): الأدب المفرد، اعتناء وترتيب صالح محمد الشامي، ط١، دار القلم - دمشق ٢٠٠١م.

٢٤. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ): التاريخ الكبير، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن د.ت.
٢٥. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير - بيروت١٩٨٧م.
٢٦. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن خلاد (ت ٢٩٢هـ): (البحر الزخار)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط١، دار العلوم والحكم – المدينة المنورة ٢٠٠٩م.
٢٧. البصري، أبو الحسن علي بن أبي الفرج (ت ٦٥٩هـ): الحماسة البصرية، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت د.ت.
٢٨. ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد (ت ٣٨٧هـ): الإبانة الكبرى، تحقيق رضا معطي وآخرون، دار الراية – الرياض د.ت.
٢٩. البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٣١هـ): خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٩٧م.
٣٠. البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد (ت ٣١٧هـ): معجم الصحابة، تحقيق محمد الجكني، دار البيان – الكويت ٢٠٠٠م.
٣١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت ٢٧٩هـ): أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، دار الفكر –بيروت ١٩٩٦م.
٣٢. البلوي: خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق.د.ت.
٣٣. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت٤٥٨هـ): الآداب، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٩٨٨م.
٣٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت٤٥٨هـ): السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز – الكويت ١٩٩٤م.
٣٥. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت٤٥٨هـ): شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ.
٣٦. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(ت٢٧٥هـ): سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت د.ت.
٣٧. التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ): البصائر والذخائر، تحقيق د. وداد القاضي، دار صادر – بيروت د.ت.
٣٨. الثعالبي، أبو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ): الإعجاز والايجاز، مكتبة القرآن – القاهرة د.ت.

٣٩. الثعالبي، أبو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ): الشكوى والعتاب، تحقيق د. إلهام المفتي، ط١ - جامعة الكويت ٢٠٠٠م.
٤٠. الثعالبي، أبو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ): لب الألباب، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٧م.
٤١. الثعالبي، أبو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ): اللطائف والظرائف، دار المناهل – بيروت د.ت.
٤٢. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد (ت ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي: الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان
٤٣. الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محجوب (ت ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال – بيروت ١٤٢٣هـ.
٤٤. الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محجوب (ت ٢٥٥هـ): المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال – بيروت ١٤٢٣هـ.
٤٥. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ): المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٢م.
٤٦. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن البستي (ت ٣٢٧هـ): الجرح والتعديل، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٥٢م.
٤٧. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري(ت٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٩م.
٤٨. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي(ت٣٥٤هـ): الثقات، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن ١٩٧٣م.
٤٩. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي(ت٣٥٤هـ): روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت د.ت.
٥٠. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي(ت٣٥٤هـ): السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق سيد عزيز بك وآخرون، دار الكتب الثقافية - بيروت ١٤١٧هـ.
٥١. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي(ت٣٥٤هـ): صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة - بيروت١٩٩٣م.
٥٢. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي(ت٣٥٤هـ): مشاهير علماء الأمصار، تحقيق وتعليق مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء – المنصورة ١٩٩١م.

٥٣. ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ): المحبر، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة – بيروت د.ت.
٥٤. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ.
٥٥. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية – الهند ١٣٣٦هـ.
٥٦. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ.
٥٧. ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (ت ٨٣٧هـ): ثمرات الأوراق، مكتبة الجمهورية العربية – مصر د.ت.
٥٨. الحرضي، يحيى بن أبي بكر بن محمد (ت ٨٩٣هـ): بهجة المحافل وبغية الأماثل، دار صادر – بيروت د.ت.
٥٩. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٣م.
٦٠. الحصري، إبراهيم بن علي بن تميم (ت ٤٥٣هـ): جمع الجواهر في الملح والنوادر، ط١ - بيروت ٢٠١٨م.
٦١. الحصري، إبراهيم بن علي بن تميم (ت ٤٥٣هـ): زهر الآداب وثمر الألباب، ط١، دار الجيل – بيروت د.ت.
٦٢. الحلبي، علي بن برهان الدين(ت١٠٤٤هـ): السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٠هـ.
٦٣. ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن (ت ٥٦٢هـ): التذكرة الحمدونية، ط١، دار صادر – بيروت ١٤١٧هـ.
٦٤. الحميري: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)/خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة (شرح لقصيدة نشوان الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن) تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي / الناشر: دار العودة، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٨ م
٦٥. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ): فضائل الصحابة، تحقيق د. وصفي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٣م.
٦٦. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ): المسند، تحقيق أحمد محمد

شاكر، ط١، دار الحديث – القاهرة ١٩٩٥م.
٦٧. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت د.ت.
٦٨. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ): تاريخ ابن خلدون، ط٥، دار القلم – بيروت ١٩٨٤م.
٦٩. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت د.ت.
٧٠. ابن خياط، أبو عمر خليفة بن شباب العصفري(ت٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري،ط٢، مؤسسة الرسالة - بيروت١٣٩٧هـ.
٧١. ابن خياط، أبو عمر خليفة بن شباب العصفري(ت٢٤٠هـ): الطبقات، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر – بيروت ١٩٩٣م.
٧٢. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن(ت٢٥٥هـ): سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، ط١، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧هـ.
٧٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ): الزهد، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم وآخرون، دار المشكاة – حلوان ١٩٩١م.
٧٤. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ): سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت د.ت.
٧٥. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ): جمهرة اللغة، تحقيق رشدي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٧م.
٧٦. الدميري، أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى (ت ٨٠٨هـ): حياة الحيوان الكبرى، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٤هـ.
٧٧. الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان (ت ٣٣٣هـ): المجالسة وجواهر العلم، دار ابن حزم – بيروت ١٤١٩هـ.
٧٨. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٧م.
٧٩. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، ط١، دار الحديث – القاهرة ٢٠٠٦م.
٨٠. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ): العبر في خبر من غبر، ط ١، دار الفكر – بيروت١٩٩٧.

٨١. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر(ت ٦٠٦هـ): مفاتح الغيب، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠هـ.
٨٢. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الأرقم، ط١ - بيروت ٢٠٠٥م.
٨٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن جار الله (ت ٥٨٣هـ): ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط١، مؤسسة الأعلمي – بيروت ١٤١٢هـ.
٨٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن جار الله (ت ٥٨٣هـ): المستقصى في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٧م.
٨٥. سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزاغولي (ت ٦٥٤هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان،، ط١، دار الرسالة – دمشق ٢٠١٣م.
٨٦. السجستاني، أبو حاتم (ت ٢٥٠هـ): المعمرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، دار إحياء الكتب العربية – مصر ١٩٦١م.
٨٧. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ): إلتماس السعد، تحقيق عبد الله الخميس، مكتبة العبيكان – الرياض ١٩٩٧م.
٨٨. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٣م.
٨٩. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر – بيروت د.ت.
٩٠. السمعاني أبو أسعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (٥٦٢هـ): الأنساب، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد ١٩٦٢م.
٩١. السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني(ت ٩١١هـ): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٩هـ.
٩٢. السهسواني: محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي (المتوفى: ١٣٢٦هـ) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان الناشر: المطبعة السلفية – ومكتبتها، الطبعة: الثالثة.
٩٣. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ): الروض الأنف، دار إحياء التراث العربي، ط١ - بيروت ١٤١٢هـ.
٩٤. ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق إبراهيم محمد رمضان، ط١، دار القلم – بيروت ١٩٩٣م.
٩٥. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ): تاريخ الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٨م.

٩٦. الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ): كتاب الأم، دار صادر بيروت د.ت.
٩٧. الشحود علي بن نايف: دائرة معارف الأسرة المسلمة.د.ت.
٩٨. الشحود علي بن نايف: المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين /د.ت.
٩٩. الشريشي، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن (ت ٦١٩هـ): شرح مقامات الحريري، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٦م.
١٠٠. الشريف المرتضى، علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ): غرر الفوائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دارإحياء التراث العربي – بيروت ١٩٥٤م.
١٠١. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت٢٣٥هـ): المصنف، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩هـ.
١٠٢. الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٣م.
١٠٣. الصحاري، أبو المنذر سلمة بن سالم (ت ٥١١هـ): الأنساب، ط١ - الأسكندرية ٢٠١٠م.
١٠٤. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت٢٠٠٠م.
١٠٥. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة الزهراء – الموصل ١٩٨٣م.
١٠٦. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ): المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، ط١، دار الحرمين – القاهرة د.ت.
١٠٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث – بيروت د.ت.
١٠٨. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر – بيروت ١٤٠٥هـ.
١٠٩. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسين (ت ٥٤٨هـ): مكارم الأخلاق، تقديم وتحقيق حسين الأعلمي، ط١، دار الهدى –طهران ٢٠٠٦م.
١١٠. الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ت ٣٢١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط / الناشر مؤسسة الرسالة / سنة النشر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م /لبنان/ بيروت.
١١١. ظهير: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ) التَّصَوُّفُ.. المنشَأ وَالمَصَادر الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١١٢. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١،دار الجيل – بيروت ١٩٩٢م.

١١٣. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ): بهجة المجالس وأنس الجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط٢، دار الكتب العلمية –ب يروت ١٩٨١م.
١١٤. ابن عبد ربة، أبو عمر هاب الدين أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ): العقد الفريد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٤هـ.
١١٥. العجلوني: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: ١١٦٢هـ): كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / الناشر: مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة / عام النشر: ١٣٥١ هـ.
١١٦. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ): أعلام النساء، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر – بيروت ٢٠٠٤م.
١١٧. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ): تاريخ دمشق، دراسة وتحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر - بيروت١٩٩٥م.
١١٨. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ): الأوائل، دار البشير، ط١ - طنطا ١٤٠٨هـ.
١١٩. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ): جمهرة الأمثال، ط١، دار الفكر – بيروت د.ت.
١٢٠. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي – بيروت د.ت.
١٢١. العمراني أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨ هـ) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
١٢٢. العمري، عصام الدين عثمان بن علي (ت ١١٨٤هـ): الروض النضر، تحقيق د. سليم النعيمي ط١ - بغداد ١٩٧٥م.
١٢٣. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت د.ت.
١٢٤. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ): العقد الثمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٩٨م.
١٢٥. أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية – مصر د.ت.
١٢٦. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) العين، ط٢، دار إحياء التراث

العربي - بيروت ٢٠٠٥م.
١٢٧. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ): الأغاني، دار الفكر – بيروت د.ت.
١٢٨. الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨١م.
١٢٩. ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ): مجمع الآداب في الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي – طهران ١٤١٦هـ.
١٣٠. ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع (ت٣٥١هـ): معجم الصحابة، تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة ١٤١٨ هـ.
١٣١. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ): الشعر والشعراء، دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣هـ.
١٣٢. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ): عيون الأخبار، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٨هـ.
١٣٣. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ): المعارف، دار الكتب العلمية، ط٢ - بيروت ٢٠٠٣م.
١٣٤. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطيقش، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٦٤م.
١٣٥. القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة (ت ٤٥٤هـ): مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٦م.
١٣٦. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي(ت ٦٤٦هـ): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٥م.
١٣٧. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية – بيروت د.ت.
١٣٨. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٨٠م.
١٣٩. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ): تحفة المودود بأحكام المولود، دار البيان - دمشق ١٩٧١م.
١٤٠. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي –بيروت د.ت.
١٤١. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي(ت ٧٧٤هـ): السيرة النبوية، تحقيق

مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة – بيروت ١٩٧٦م.
١٤٢. الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم (ت ٦٣٤هـ): الاكتفاء، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٠هـ.
١٤٣. اللالكائي /ل هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم /: تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، ٣ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢ هـ
١٤٤. ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ): نسب معد واليمن الكبير، تحقيق د. ناجي حسن، عالم الكتب – القاهرة ١٩٨٨م.
١٤٥. مالك، مالك بن أنس الأصبحي(ت ١٧٩هـ): الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعلمي، الإمارات المتحدة – أبو ظبي ٢٠٠٤م.
١٤٦. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ): سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر - بيروت د.ت.
١٤٧. الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب (ت٤٥٠هـ): أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ٢٠٠٤م.
١٤٨. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ): التعازي والمراثي، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، مراجعة محمود سالم، نهضة مصر - القاهرة د.ت.
١٤٩. الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي – القاهرة١٩٨٧م.
١٥٠. المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطي،ط١،دار الكتب العلمية - بيروت١٩٩٨م.
١٥١. المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ): تحفة الأشراف، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، المكتب الاسلامي - القاهرة١٩٨٣م.
١٥٢. المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر - بيروت ١٩٩٤م.
١٥٣. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١هـ): صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠٠م.
١٥٤. المستعصمي، محمد بن أيدمر (ت٧١٠هـ): الدر الفريد وبيت القصيد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠١٥م.
١٥٥. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ): التنبيه والأشراف، دار الصاوي – القاهرة د.ت.

١٥٦. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط٢، سروش - طهران ٢٠٠٠م.
١٥٧. المفضل، أبو طالب المفضل بن سلمة (ت ٣٩٠هـ): الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية – مصر ١٣٨٠ هـ.
١٥٨. ابن مفلح، أبو عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي(ت ٧٦٣هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب – بيروت د.ت.
١٥٩. المقدسي، المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ): البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية – بورسعيد د.ت.
١٦٠. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٢هـ: إمتاع الأسماع، تحقيق محمد بن عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية –بيروت د.ت.
١٦١. ابن المقفع، عبد الله (ت ١٤٢هـ): الأدب الصغير، تحقيق وتعليق حافظ خلف، دار ابن القيم – الاسكندرية د.ت.
١٦٢. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت ١٤١٤هـ
١٦٣. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ): مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روحية النحاس وآخرون، دار الفكر – بيروت د.ت.
١٦٤. ابن منقذ، أبو المظفر أسامة بن مرشد (ت ٥٨٤هـ)
١٦٥. لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة – القاهرة ١٩٨٧م.
١٦٦. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)
١٦٧. السنن الكبرى، تحقيق د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت١٩٩١م.
١٦٨. النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ): الجليس الصالح، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية –بيروت ٢٠٠٥م.
١٦٩. النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية – بيروت د.ت.
١٧٠. النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة –بيروت ١٩٩٨م.
١٧١. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق - مصر ١٤٣٣هـ.
١٧٢. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (ت ٨٥٠هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان،

تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية –بيروت ١٤١٦هـ.
١٧٣. الهجراني، أبو محمد الطيب بن عبد الله (ت ٩٤٧هـ): قلادة النحر في وفيان أعيان الدهر، ط١، دار المنهاج – جدة ٢٠٠٨م.
١٧٤. ابن هشام، أبي عبد الملك بن أيوب المعافري (ت٢١٨هـ): التيجان في ملوك حمير، ط١، صنعاء ١٩٤٧م.
١٧٥. ابن هشام، أبي عبد الملك بن أيوب المعافري (ت٢١٨هـ): السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط١، دار الجيل - بيروت ١٤١١هـ.
١٧٦. الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى (ت ٥٨٤هـ): عجالة المبتدي، تعليق عبد الله كنون، هيئة المطابع الأميرية –القاهرة ١٩٧٣م.
١٧٧. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ.
١٧٨. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٦م.
١٧٩. الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد (ت ٣٢٥هـ): الظرف والظرفاء، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي - مصر د.ت.
١٨٠. الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم (ت ٧١٨هـ): غرر الخصائص الواضحة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية –بيروت ٢٠٠٨م.
١٨١. اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٧م.
١٨٢. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ): معجم الأدباء، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي – بيروت ١٩٩٣م.
١٨٣. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، ط٢، دار صادر – بيروت ١٩٩٥م.:
١٨٤. اليزيدي، أبو عبد الله محمد بن العباس (ت ٣١٠هـ): الأمالي، تحقيق د. أنور أبو سويلم، دار جليس الزمان – مصر د.ت.
١٨٥. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، المكتبة الحيدرية – قم ١٤٢٥هـ.
١٨٦. ابو يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ت ا ٣٠٧هـ تحقيق حسين سليم أسد /الناشر دار المأمون للتراث/ سنة النشر ١٤٠٤ – ١٩٨٤/ دمشق.

المراجع

١٨٧. ابن الخطيب، محمد: أوضح التفاسير، المطبعة المصرية – القاهرة ١٩٦٤م.

١٨٨. دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، نقله الى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي، ط١ - بغداد ٢٠٠٠م.

١٨٩. الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد: تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية – بيروت د.ت.

١٩٠. الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين – بيروت ٢٠٠٣م.

١٩١. أبو زهرة، محمد بن أحمد: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي – القاهرة د.ت.

١٩٢. سابق، سيد : فقه السنة، ط٣، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٧م.

١٩٣. شيخو، رزق الله بن يوسف: مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت ١٩١٣م.

١٩٤. صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية – بيروت د.ت.

١٩٥. عتيق، عبد العزيز

١٩٦. صفوت، أحمد زكي: علم المعاني، ط١، دار النهضة العربية – بيروت ٢٠٠٩م.

١٩٧. قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الهجرة – القاهرة ١٩٩٥م.

١٩٨. كحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب، ط١، مؤسسة الرسالة –بيروت ١٩٩٤م.

١٩٩. محجوب، عباس: التربية في عصر ما قبل الاسلام وبعده، ط١، الجامعة الاسلامية – المدينة المنورة ١٩٨٠م.

٢٠٠. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم: جواهر الأدب، مؤسسة المعارف – بيروت د.ت.

٢٠١. موقع - http://www.alfaseeh.com

٢٠٢. موقع http://www.alminbar.net

الفهرس

الآية الدالة على الوصية . . . . . .
المقدمة . . . . . .

الفصل الأول

معنى الوصية ومدلولها اللغوي والشرعي . . . . . .
المبحث الأول –الوصية لغة واصطلاحاً . . . . . .
المبحث الثاني - في - مشروعية الوصية . . . . . .
أولاً - الوصية في القرآن الكريم. . . . . .
ثانياً - الوصية في الحديث النبوي الشريف. . . . . .
ثالثاً - وصايا الأنبياء والحكماء لأبنائهم في التاريخ القديم. . . . . .

الفصل الثاني

الوصية عند العرب قبل الإسلام . . . . . .
المبحث الأول:
ملازمة الوصية لجانب الخوف والحذر على الأبناء من المستقبل المجهول . .
المبحث الثاني:
ملازمة الوصية للجوانب المشرقة والنافعة في حياة الأبناء . . . . . .
أولاً - الوصايا الخاصة بصيانة العز والشرف. . . . . .
ثانياً - الوصايا الخاصة بالقيم الأخلاقية الكريمة. . . . . .
ثالثاً - الوصايا الخاصة بالزعامة والرياسة. . . . . .
رابعاً - الوصايا الخاصة بالزواج. . . . . .

الفصل الثالث

الوصايا عند المسلمين . . . . . .
المبحث الأول: الوصايا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . . . . . .
أولاً - الوصايا في الجانب العقدي والعبادي . . . . . .
ثانياً - الوصية في الجانب الاجتماعي. . . . . .

ثالثاً - البر بالوالدين . . . . . .
رابعاً - العدل بين الأبناء . . . . . .
خامساً - الوصية في حفظ الصحة وتربية البدن . . . . . .
سادساً - الوصايا التي تحث على ترك الخصال السيئة، . . . . . .
المبحث الثاني: الوصية في العصر الراشدي . . . . . .
أولاً - الوصايا التي تحث على التقوى وأركان الإسلام . . . . . .
ثانياً - الوصايا التي تخص الجوانب الإدارية والاهتمام بالرعية . . . . . .
ثالثاً - الوصايا التي تحث على الجانب الخلقي . . . . . .
رابعاً - الوصايا التي تحث الأبناء على الرياضة والحركة والثقافة . . .
خامساً - الوصايا التي تخص آداب المائدة . . . . . .

الفصل الرابع

الوصايا في العصر الأموي . . . . . .
أولاً - الوصايا التي تحذر الأبناء من الشبع والبطنة . . . . . .
ثانيا - الوصايا في الحياء . . . . . .
ثالثا: الوصايا عند الموت . . . . . .
رابعا: وصايا النساء . . . . . .
خامسا: وصايا الدعاء والأذكار . . . . . .

الفصل الخامس

الوصايا في العصر العباسي . . . . . .
أولا: الوصايا التي تركز على الأخلاق الحميدة . . . . . .
ثانيا: الوصايا في الجانب العلمي والفكري . . . . . .
ثالثاً - الوصية في الجانب العسكري . . . . . .
رابعا: الوصايا بالامتناع عن البدع وأهلها. . . . . .
الخاتمة . . . . . .
المصادر والمراجع . . . . . .